بواعث تفضيل الشَّيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

د. أحمد بن محمَّد بن حاسن القرشي

أستاذ العقيدة المشارك – العقيدة الإسلامية– كلية الشريعة والأنظمة– جامعة الطائف

a.asem@tu.edu.sa

Motives for preferring of the two Sheikhs, Abu Bakr and Omar, may Allah be pleased with them

Dr. Ahmed ben Mohammed ben Hassan Al-Qurashi

Associate Professor of Islamic Doctrine, Faculty of Sharia and Regimes, Taif University

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز مكانة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما وعن سائر الصحابة أجمعين، وذلك بتناول المحاور التالية:

١. فضل الصحابة ومكانتهم رضي الله عنهم.

٢. بواعث تفضيل الشيخين، وهي: باعث المحبة والأخوة، وباعث المشاورة، وباعث الإنفاق في سبيل الله تعالى.

٣. الآثار الحميدة التي نجحت بسبب هذا الفضل والتفضيل لهما رضي الله عنهما من: اجتماع الكلمة عليهما، وسلامة عهدهما من الفتن الداخلية، وهذا من إتمام الدين وكمال النعمة.

واستخدم الباحث المنهج الاستقرائي التأصيلي دون التعرض لطعون الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء والبدع، وتوصل الباحث إلى عدة نتائج، من أهمها:

١. أنَّ من أعظم أسباب تفضيل الشَّيخين أبي بكر وعمر. باعث المحبَّة لهما من رَسُولِ الله ﷺ. فهما بالمكان الرَّفيع عنده.

٢. كان الشَّيخان في غالب أحوالهما معه ﷺ؛ في حضره وسفره. حربه وسلمه. يشاورهما في أمور

Abstract:

This article aims to highlight the status of the two Sheikhs, Abu Bakr and Omar, may Allah be pleased with them and all the Prophet's Mohammed's (PBUH) companions, tackling the following axes:

1. The virtue and position of the companions.

2. The motives for preferring the two Sheikhs are: the motive of love and brotherhood, the motive of consultation, and the motive of giving for the Allah's Sake.

3. The praiseworthy effects succeeded due to preferring both Sheikhs in terms of the scholars' agreement on them. Their covenant is free from internal conflicts, which is a sign of perfect religion and grace.

The study employs the foundationalist inductive approach without touching on the distortions of Rafidah, Kharijites, Mu'tazilah, among others. The study concludes with the following findings:

1. One of the greatest reasons for preferring the two Sheikhs is the Prophet Mohammed's love to them.

2. The two Sheikhs were mostly accompanying him, in his presence and travel, peace and war, consulting them on people's general affairs and private issues.

3. The two Sheikhs were the most beneficial companions to the Prophet, they spent any money before or after the conquest only for Allah's Sake.

4. Abu Bakr's and Omar's (and other companions) spending was not intended to feed the Prophet or his own people, but

الأمّة العامّة. والأمور الخاصّة.

٣. أعظم الصَّحابة نفعًا للنَّبيِّ ﷺ الشيخان. فما أنفق أبو بكر وعمر من مال قبل الفتح وبعده إلاَّ وهما يبتغيان وجه الله ـ تبارك وتعالى ـ. وبخاصّة أبو بكر. فقد بذل ماله كلّه ذات مرّة. وجاء الفاروق بنصف ماله.

٤. أنَّ إنفاق أبي بكر وعمر وغيرهما من الصَّحابة لم يكن لإطعام النَّبيِّ ﷺ وأهل بيوتاته. بل كان عونًا على الدِّين والدَّعوة في سبيل الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: أبي بكر الصـــديق، عمر بن الخطاب، الشيخان، التفضيل، الصحابة.

rather, it was a help for religion and Dawah for Allah.

Keywords: Abu Bakr Alsiddiq, Omar Ibn Alkhattab, the two Sheikhs, preference, the Prophet’s companions..

مقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلَّ له. ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له. وأشهد أَنَّ محمَّداً عبد الله ورسوله.. أمَّا بعد:

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]. و"المراد بالاختيار هاهنا: الاجتباء والاصطفاء. فهو اختيار بعد الخلق. فهو أعمّ وأسبق. وهذا أخصّ. وهو متأخّر. فهو اختيار من الخلق " (١).

وقد خلق الله السَّماوات سبعًا. واختار السَّابعة وفضّلها وأسكن فيها المقرّبين من ملائكته. ومن شاء من عباده.

وفضل الفردوس الأعلى على بقيّة الجنان. وجعل سقفها عرش الرَّحمن.

وخلق الملائكة من نور. واختار جبريل وميكائيل وإسرافيل على سائرهم.

واختار الأنبياء واصطفاهم على سائر بني آدم. وفضّل أولي العزم منهم. وأعلاهم الخليلين إبراهيم ومحمَّد عليهما وعلى سائر النبيين أفضل الصَّلاة والسَّلام ..

واختار ولد إسماعيل عليه السلام على سائر بني آدم. واختار قريشًا من العرب. وفضّل بني هاشم على قريش. واختار منهم نبيّ آخر الزّمان محمَّد بن عبد الله ﷺ.

واختار من هذه الأمّة الرّعيل الأَوّل؛ الصَّحابة الكرام ﷺ وأفضل الصَّحابة وأكرمهم على الله ـ تبارك وتعالى ـ وعلى رسوله ﷺ أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما وأرضاهما ـ [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: "والاختيار في لغة القرآن يُراد به التَّفضيل والانتقاء والاصطفاء. كما قال: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣] [٣].

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

جاء في الحديث الصحيح عند البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: "كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ. فَنُخَيِّرُ: أَبَا بَكْرٍ. ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ. ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ " [٤].

وفي رواية عند أبي داود زيادة: "ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ " [٥].

والفضائل عند أهل العلم والسُّنَّةِ نوعان: خاصّة ومشتركة [٦]. وقد اختصّ الشَّيخان بأمور لم يشركهم فيها أحد من الصَّحابة. واشتركا مع عموم السَّابقين الأوّلين. وسائر الصَّحابة أجمعين في فضل الصُّحبة. وأمور كثيرة. فصار التَّفضيل أمرًا مشروعًا. ثابتًا بالنُّصوص الصَّحيحة الصَّريحة. وسمعه الرَّسولُ ﷺ من الصَّحابة فلم يُنكره. وتناقل العلماء من نحو ثمانين وجهًا قول علي ﷺ: "خَيرُ هَذهِ الأمّةِ بعد نبيّها ﷺ أبو بكر وعمر " [٧].

وأُمّهات الفضائل المعلومة عند العلماء ـ نقلاً وعقلاً ـ أربع فضائل: العلم. والدِّين. والشَّجاعة. والكرم [٨]. فما ناله الشَّيخان من هذه الفضائل أعظم وأكمل وأنفع في الدِّين. ونصرة النَّبِيِّ ﷺ من غيره. ما جعلهما أكمل وأفضل الخلق بعد النّبيين والمرسلين ـ عليهم الصَّلاة والسَّلام ـ. وهذا البحث يتناول بواعث تفضيل الشَّيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من خلال تقرير أهل السُّنَّة والجماعة هذا المعنى وبخاصّة شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ في كتابه (منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة والقدريّة) في إطار منهج تأصيليّ.

أسباب اختيار الموضوع:

ولم يكن من غرضي الردّ على طوائف الضَّلال كالرَّافضة والخوارج وغيرهما. وإنما استفرغت وسعي لإيضاح المنهج الحقّ؛ منهج السَّلف الصَّالح في خير هذه الأمّة وأفضلها. وخاصَّة الشَّيخين رضي الله عنهما.

أهداف البحث:

١. يهدف هذا البحث لإبراز مكانة الصحابة رضي الله عنهم عموما. وما تميز به الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

٢. يسهم البحث في إبراز بواعث تفضيل الشيخين رضي الله عنهما.

٣. يبرز البحث الآثار الحميدة لمكانة الشيخين وتفضيلهما وذلك فيما تميز به عصرهما من اجتماع الكلمة عليهما رضي الله عنهما. وسلامة عهدهما من الفتن الداخلية.

منهج البحث:

المنهج المتبع في تحرير مباحث ومطالب هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التأصيلي دون التعرض لطعون الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء والبدع.

الدِّراسات السَّابقة:

من المعلوم لدى حملة العلم وطلّابه أنّ كتب الحديث ومصنّفاته مليئة بفضائل الشيخين خصوصًا. وفضائل الصحابة عمومًا. وقد أفرد جهابذة أهل السَّنة والجماعة "فضائل الصحابة " بالجمع والتصنيف كالإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ إلَّا أنّني لم أقف على بحوث حول العنوان "بواعث تفضيل الشيخين " سوى الآتي:

١ ـ قرّة العينين في تفضيل الشيخين لشاه ولي الله دهلوي (صاحب كتاب حجّة الله البالغة). ولكنّه لم يزل مخطوطًا. والطّبعة الموجودة بالفارسيّة. والله أعلم.

٢ ـ دراسة وتحقيق كتاب "الروض الأنيق في إثبات إمامة أبي بكر الصدّيق ". تأليف / محمد حاتم زنجويه.

٣ ـ غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل. تأليف/ محمود سعيد ممدوح.

ويظهر للباحث المختصّ أنّ هذه المصنّفات والدّراسات في عموم التفضيل وأدلّته من الكتاب والسنّة. أمّا ما سطّرته في هذا البحث فيتعلّق بأسباب التفضيل. وهي تلك الصفات التي تميّز بها الشيخان أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فكانت رابطًا قويًّا بينهما وبين الهادي البشير ﷺ. ثبّتنا الله على سنّته وسنّة الذين من بعده.

هيكل البحث وخطته:

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة وفيها: أهمية البحث وسبب اختياره. وأهدافه ومنهجه. والدراسة السابقة. وهيكل البحث.

المبحث الأول: فضل الصحابة ومكانتهم رضي الله عنهم.

المبحث الثاني: بواعث تفضيل الشيخين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: باعث المحبة والأخوة.

المطلب الثاني: باعث المشاورة.

المطلب الثالث: باعث الإنفاق.

المبحث الثالث: آثار تفضيل الشيخين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اجتماع الكلمة عليهما رضي الله عنهما.

المطلب الثاني: سلامة عهدهما من الفتن الداخلية.

المبحث الرَّابع: باعث الإنفاق.

المبحث الخامس: آثار تفضيل الشَّيخين

المطلب الأَوَّل: اجتماع الكلمة عليهما ـ رضي الله عنهما.

المطلب الثَّاني: سلامة عهدهما من الفتن الدَّاخليّة.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

المبحث الأَوَّل: فضل الصَّحابة ومكانتهم

الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النَّبويَّة في فضل أصحاب النَّبيِّ ﷺ وعلوّ منزلتهم كثيرة جدا. فهم من اختارهم الله ـ سبحانه ـ لصحبة خليله ﷺ. وصدق فيهم وصف الصحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين قال: "إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ. فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ. فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ. وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ؛ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ... " (٩).

وفي أثر آخر يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "أُولئِكَ أَصحابُ محمَّدٍ ﷺ. كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ أَبَرَّهَا قُلُوبًا. وأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَلِإِقَامَةِ دِينِهِ؛ فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ. وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلاَقِهِمْ وَدِينِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الهُدَى المسْتَقِيمِ " (١٠).

فهذا الكلام الجامع المتين من عالم من علماء الصَّحابة. خبر أحوالهم. ودرس تاريخ عصرهم "بيَّن فيه حسن قصدهم ونيّاتهم بِبِرِّ القلوب. وبيَّن فيه كمال المعرفة ودقّتها بعمق العلم. وبيَّن فيه تيسّر ذلك عليهم. وامتناعهم من القول بلا علم بقلّة التكلّف " (١١).

ونصوص الوحي وآثار السَّلف مبثوثة في دووايين أهل الإسلام. ومملوءة بها مصنّفاتهم. نقلها الخلف عن السَّلف. إليك طرفًا منها:

أوَّلاً: الآيات القرآنيَّة:

١ . ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣].

٢ . ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٢].

٣ . ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال: ٧٤ ـ ٧٥].

٤ . ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التَّوبة: ١٠٠].

٥. ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التَّوبة: ٨٨ ـ ٨٩].

٦ . ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النَّحل: ١١٠].

٧ . ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح: ١٨].

٨ . ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ

أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

٩ . ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٨ . ٩].

يقول الإمام الآجريّ . رحمه الله . بعد أن ساق جملة من الآيات في فضل الصَّحابة. وبيان علوّ منزلتهم في الدِّين: "فقد . والله . أنجز الله ﷻ الكريم للمهاجرين والأنصار ما وعدهم به. جعلهم الخلفاء من بعد الرَّسولِ ﷺ. ومكنّهم في البلاد. ففتحوا الفتوح. وغنموا الأموال. وسبوا ذراري الكفّار. وأسلم على أيديهم من الكفَّار خلق كثير. وأعزّوا دين الله ﷻ. وأذلُّوا أعداء الله ﷻ. وظهر أمر الله ولو كره المشركون. وسنُّوا للمسلمين السُّنن الشَّريفة. وكانوا بركة على جميع الأمّة. أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] " (١٢).

والنَّاس من زمن الصَّحابة إلى اليوم على ثلاثة أضرب لا رابع لها. كما جاء عن سعد بن أبي وقّاص ﷺ قال: "النَّاسُ على ثلاثِ منازلَ. فمضتْ منزلتانِ. وبقيتْ واحدةٌ. فأحسنُ ما أنتم عليه كائنونَ أن تكونوا بهذه المنزلة الَّتي بقيتْ. ثمَّ قرأ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨] هؤلاء المهاجرونَ. وهذه منزلةٌ قد مضت. ثمَّ قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. ثمَّ قال: هؤلاء الأنصارُ. وهذه منزلة قد مضت. ثمَّ قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] فقد مضت هاتانِ وبقيت هذه المنزلةُ. فأحسنُ ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة الَّتي بقيت؛ أن تستغفروا الله لهم " (١٣).

ثانيًا: الأحاديث النَّبويَّة:

تواترت الأحاديث عن النَّبيّ ﷺ في بيان فضل الصَّحابة. وما نعتهم به النَّبيُّ الكريم ﷺ من الفضل العظيم والحظّ الجزيل. والمكان الرَّفيع. وصدق فيهم قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فإن لم يكن الصَّحابة أولى بهذا الثَّناء. فلا أحد بعدهم يناله شيء منه. فهم الجيل الَّذي تكوّنت منه الجماعة الأولى في الإسلام. وتمثّلت قيم الإسلام في عهده واقعًا ملموسًا. التقى فيه المثال بالواقع. والنَّظريّ بالتَّطبيق. فسعدت الدّنيا. ونالت البشريَّة آنذاك ألوان من الرَّحمة والهداية على مستوى الفرد والأسرة والقبيلة والشَّعب. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وجاء الثَّناء على لسان الرَّسولِ ﷺ في الأحاديث الَّتي يرويها الثِّقات الأثبات؛ فمنها:

١ ـ روى البخاري بسنده عن عمران بن حُصين ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. قَالَ عِمْرَانُ: فَلاَ أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا. ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ. وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ. وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ. وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ " (١٤).

٢ ـ روى مسلم بسنده عن أبي بُردة عن أبيه ﷺ أَنَّهُ قال: "صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ. قَالَ: فَجَلَسْنَا. فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ. صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ. ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ. قَالَ: أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ـ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ـ فَقَالَ: النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ. فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي. فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي. فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ " (١٥).

قال النَّووي ـ رحمه الله ـ: "قال العلماء: الأَمَنةُ ـ بفتح الهمزة والميم ـ والأمن والأمان بمعنى. ومعنى الحديث: أنَّ النُّجوم ما دامت باقية فالسَّماء باقية. فإذا انكدرت النُّجوم وتناثرت في القيامة وهنت السَّماء فانفطرت وانشقّت وذهبت... "وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي ". فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون. أي من الفتن والحروب. وارتداد من ارتدّ من الأعراب. واختلاف القلوب. ونحو ذلك مِمَّا أنذر به صريحًا. وقد وقع كلّ ذلك...

"وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي " معناه: من ظهور البدع في الدِّين والفتن فيه. وطلوع قرن الشَّيطان. وظهور الرُّوم وغيرهم عليهم. وانتهاك المدينة ومكَّة. وغير ذلك. وهذه كلّها من معجزاته ﷺ " (١٦).

٣ ـ روى البخاريّ بسند عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ. فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ. فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ. ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ. فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ. فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ. ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ. فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ. فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ " (١٧).

يقول الإمام النَّووي ـ رحمه الله ـ معلِّقًا على الحديث: "وفي هذا الحديث معجزات لرَسُولِ الله ﷺ وفضل الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم " (١٨).

ويقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "يُفتح للصَّحابة لفضلهم. ثمَّ يُفتح للتَّابعين لفضلهم. ثمَّ لتابعيهم لفضلهم. قال: ولذلك كان الصَّلاح والفضل والنَّصر للطَّبقة الرَّابعة أقل. فكيف بمن بعدهم؟. والله المستعان " (١٩).

٤ ـ حديث أبي وائل عن جرير رضي الله عنه أَنَّهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: "الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ " (٢٠).

٥ ـ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ عن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قال: "هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عز وجل؟ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ. وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ. وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لاَ يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً. فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل لِمَنْ شَاءُ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ. فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ: رَبُّنَا نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ. وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ. أَفَتَأْمُرُنَا فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟! قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا لِي يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا. وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ. وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ. يَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ. لاَ يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً. قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَ﴿يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرَّعد: ٢٣ ـ ٢٤] " (٢١).

يقول ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ معلِّقًا على الحديث: "الخلفاء الرَّاشدون وقوّاد المسلمين من السَّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار ﷺ كذلك يقي الله بهم المسلمين المكاره. ولم يكونوا مفتونين بزينة الدّنيا وزخرفها... " (٢٢).

٦ ـ روى البخاري بسنده عن عبد الله بن جَبْرٍ الأنصاريّ ﷺ أَنَّهُ قال: سَمِعْتُ أَنَسًا. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ. وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ " (٢٣).

"فالأنصار هم الأوس والخزرج... وأطلق ـ أيضًا ـ على أولادهم وحلفائهم ومواليهم. وخُصُّوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النَّبِيّ ﷺ ومن معه. والقيام بأمرهم. ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم. وإيثارهم في كثير من الأمور على أنفسهم... فلهذا جاء التَّحذير من بغضهم. والتَّرغيب في حبّهم؛ حتَّى جعل ذلك آية الإيمان والنِّفاق؛ تنويهًا بعظيم فضلهم. وتنبيهًا على كريم فعلهم " (٢٤).

فسبيل أهل العلم والإيمان التَّصديق بما جاء في كتاب الله تعالى. وسنّة نبيّه ﷺ في فضائل القوم. حتَّى صارت عقيدة راسخة عند أهل السُّنَّة والجماعة. فدوّنت في عقائدهم. حتَّى قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: "ويقبلون ما جاء في الكتاب والسُّنَّة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم. فيفضّلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل. ويقدّمون الممهاجرين على الأنصار. ويؤمنون بأنّ الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ـ "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " (٢٥). وبأنَّه لا يدخل النَّار أحد بايع تحت الشَّجرة. كما أخبر النَّبِيُّ ﷺ؛ بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه. وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة...

وذلك أَنَّهم يؤمنون بأنّ الخليفة بعد رَسُولِ الله ﷺ أبو بكر. ثمَّ عمر. ثمَّ عثمان. ثمَّ عليّ؛ ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمَّة فهو أضلّ من حمار أهله " (٢٦).

ثالثًا: أقوال العلماء:

اتَّفق علماء الإسلام. وأئمَّة الدِّين. وحملة السُّنَّة من التَّابعين وتابعيهم والأئمَّة الأربعة على فضل الصَّحابة وعدالتهم؛ مستدلّين بالنُّصوص القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة الَّتي تقدَّم طرف منها. يقول ابن الصَّلاح ـ رحمه الله ـ: "للصَّحابة بأَسْرهم خصيصة؛ وهي أَنَّهُ لا يُسأل عن عدالة أحد منهم. بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدّلين بنصوص الكتاب والسُّنَّة. وإجماع من يعتدّ به في الإجماع من الأمَّة...

ثمَّ إنَّ الأمَّة مجمعة على تعديل جميع الصَّحابة ومن لابس الفتن منهم. فكذلك بإجماع العلماء الَّذين يُعتدّ بهم في الإجماع؛ إحساناً للظنّ بهم. ونظرًا إلى ما تمهّد لهم من المآثر. وكأنّ الله سبحانه أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشَّريعة. والله أعلم " (٢٧).

وابن كثير الدّمشقيّ ـ رحمه الله ـ نصّ على عدالة الصَّحابة كلّهم. وفضلهم. وعلوّ منزلتهم. فقال: "والصَّحابة كلّهم عدول عند أهل السُّنَّة والجماعة؛ لِمَا أثنى الله عليهم في كتابه العزيز. وبما نطقت به السُّنَّة النَّبويَّة في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم. وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رَسُولِ الله ﷺ. رغبة فيما عند الله من الثَّواب الجزيل. والجزاء الجميل " (٢٨).

وعدد الصَّحابة الَّذين رأوه. وسمعوا منه. وجاهدوا معه. واعتمروا وشهدوا حجّة الوداع عشرات الألوف. حتَّى قال الإمام الشَّافعيّ ـ رحمه الله ـ: "روى عن رَسُولِ الله ﷺ ورآه من المسلمين نحو من ستّين ألفًا " (٢٩).

وقال أبو زرعة الرَّازي ـ رحمه الله ـ: "شهد حجّة الوداع أربعون ألفًا. وكان معه بتبوك سبعون ألفًا. وقُبض ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفًا من الصَّحابة " (٣٠).

وزاد أحمد شاكر في التَّعليق: "فقيل له: يا أبا زرعة. هؤلاء أين كانوا؟ وأين سمعوا منه؟. فقال: أهل المدينة. وأهل مكَّة. ومن بينهما. والأعراب. ومن شهد معه حجّة الوداع. كلّ رآه وسمع منه بعرفة " (٣١).

فهذا عليّ ﷺ في آخر حياته يقول: "إنّي لأرجو أن أكون أنا وفلان وفلان وفلان من الَّذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. ثمَّ قال: فإن لم نكن هم. فمن هم؟! (٣٢).

وعدَّ أمير المؤمنين في الحديث عبد الله بن المبارك حبّ الصَّحابة من خصال الخير الَّتي تكون سببًا في النَّجاة والسَّلامة. فقال: "خصلتان من كانتا فيه؛ الصِّدق. وحبُّ أصحاب محمَّد ﷺ أرجو أن ينجو ويسلم " (٣٣).

ونقل قوام السُّنَّة الأصبهاني ـ رحمه الله ـ عن أبي يُوسف صاحب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ قوله: "إذا جاءكم عن رَسُولِ الله ﷺ فخذوا به. ثمّ ما جاءكم عن الصَّحابة ﷺ فخذوا به. ودعوا أقاويلنا " (٣٤).

وكان أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ يقول: "مقام أحدهم مع رَسُولِ الله ﷺ ساعة واحدة خير من عمل أحدنا جميع عمره وإن طال " (٣٥).

والشَّافعيُّ محمَّد بن إدريس المطّلبي ـ رحمه الله ـ كان معظِّمًا للصَّحابة جميعًا. وللخلفاء الرَّاشدين خصوصًا. فقال: "إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث. فكأنِّي رأيت رجلاً من أصحاب النَّبيِّ ﷺ. جزاهم الله خيرًا. هم حفظوا لنا هذا الأصل. فلهم علينا الفضل " (٣٦).

وفي شأن الخلفاء ﷺ قال: "الخلفاء خمسة: أبو بكر. وعمر. وعثمان. وعليّ. وعمر بن عبد العزيز " (٣٧). وفي رواية: "الخلفاء الرَّاشدون... " (٣٨).

وقال ـ أيضًا ـ: "أجمع الصَّحابة وأتباعهم على أفضليّة أبي بكر. ثمَّ عمر. ثمَّ عثمان. ثمَّ عليّ " (٣٩).

وأهل السُّنَّة والجماعة استقرّ إجماعهم؛ بعد خلاف عند المتقدّمين في التّرتيب بين الخلفاء الرَّاشدين (أبو بكر. وعمر. وعثمان. وعلي) على أنَّ ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة. وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "الإجماع انعقد بآخرة بين أهل السُّنَّة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة. رضي الله عنهم أجمعين " (٤٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه **الله** ـ: "وأمَّا جمهور النَّاس ففضَّلوا عثمان. وعليه استقرّ أمر أهل السُّنَّة. وهو مذهب أهل الحديث. ومشايخ الزُّهد والتصوّف. وأئمَّة الفقهاء. كالشَّافعيّ وأصحابه. وأحمد وأصحابه. وأبي حنيفة وأصحابه. وإحدى الرِّوايتين عن مالك. وعليها أصحابه " (٤١).

وقال أيضًا: "سائر أئمَّة أهل السُّنَّة على تقديم عثمان. وهو مذهب جماهير أهل الحديث. وعليه يدلّ النَّصّ والإجماع والاعتبار " (٤٢).

أمَّا الشَّيخان ـ أبو بكر وعمر ـ فلم يخالف في فضلهما وتقديمهما من له عند الأمّة مكانة من العلماء. "... بل وتفضيلهما على عثمان وعليّ لم ينازع فيه من له عند الأمّة قدر؛ لا من الصَّحابة. ولا من التَّابعين. ولا أئمَّة السُّنَّة. بل إجماع المسلمين على ذلك قرنًا بعد قرن. أعظم من إجماعهم على إثبات شفاعة نبيّنا ﷺ في أهل الكبائر وخروجهم من النَّار. وعلى إثبات الحوض والميزان... بل إيمان أبي بكر وعمر وعدالتهما ممَّا وافقت عليه الخوارج ـ مع تعنّتهم ـ وهم ينازعون في إيمان عليّ وعثمان... " (٤٣).

وإمام أهل السُّنَّة والجماعة أحمد بن حنبل الشَّيبانيّ ـ رحمه الله ـ كلامه في الصَّحابة. وإجلاله لهم. واحتفائه بأقوالهم. يفوق الحصر. وقد ذكر في "رسالة في السُّنَّة " (٤٤) جُملاً في الاعتقاد فقال: "واعرف حقّ السَّلف

الَّذين اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ... وترحّم على جميع أصحاب محمَّد ﷺ صغيرهم وكبيرهم. وحدّث بفضائلهم وأمسك عمَّا شجر بينهم " (٤٥).

وشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ يحتفي بنصوص الإمام أحمد أيَّما احتفاء. حتَّى جعل من شعار أهل الأهواء والبدع ترك ما كان عليه السَّلف. ونقل عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ قوله: "أصول السُّنَّة عندنا: التمسّك بما كان عليه أصحاب النَّبيِّ ﷺ " (٤٦).

وبهذا التَّقرير يُعلم أنَّ الأمّة الإِسـلاميَّة اليوم تحتاج من علمائها وأهل الدَّعوة فيها بيان هذا الأصـل العظيم. وردّ النَّاس إلى أقوال الصَّـحابة في العلم والدِّين. فهي أنفع من معرفة أقوال المتأخّرين. في أصـول الدِّين وفروعه. وفي الزُّهد والعبادة. والأخلاق والجهاد. فسـبيل النَّجاة في اتّباعهم. والأخذ بالسُّـنن والآثار الواردة عنهم. والهلاك والخسـران في اطّراحها ونبذها. والتّعوّض عنها بآراء المخالفين لهم في الاعتقاد من أرباب الرَّفض والاعتزال والتجهّم (٤٧).

المبحث الثَّاني: بواعث تفضيل الشيخين رضي الله عنهما.

المطلب الأول: باعث المحبة والأخوة:

إنَّ من حكمة الله ـ تبارك وتعالى ـ وقدره الَّذي خلق الخلق لأجله. وكوّن الكائنات لتتحرّك وفقه. فما من مخلوق في العالم العلوي أو السُّفليّ أو ما بينهما من المخلوقات كالشَّمس والقمر والنّجوم. والملائكة والإنس والجنّ والحيوان. وحركة كلّ متحرّك إلاَّ ودافع تلك الحركة المحبّة.

فالحركات ثلاثة أنواع:

١ ـ حركة إراديّة.

٢ ـ حركة طبعيّة.

٣ ـ حركة قسريّة.

فالمتحرّك "إمَّا أن يتحرّك بإرادته أوْ لا. فإن تحرّك بإرادته فحركته إراديّة. وإن تحرّك بغير إرادته. فإمَّا أن تكون حركته إلى نحو مركز أوْ لا. فإن تحرّك إلى جهة مركزه فحركته طبيعيّة. وإن تحرّك إلى غير جهة مركزه فحركته قسريّة " (٤٨).

وفي موضع آخر قال ابن القيّم ـ رحمه الله ـ: "والحركة الاختياريّة أصلها الإرادة. والقسريّة والطبيعيّة تابعان لها. فعاد الأمر إلى الحركة الإراديّة. فجميع حركات العالم العلوي والسُّفليّ تابعة للإرادة والمحبّة. وبها تحرّك

العالم ولأجلها.... بل هي الّتي بها ولأجلها وجد العالم. فما تحرّك في العالم العلوي والسُّفلي حركة إلاَّ والإرادة والمحبّة سببها وغايتها. بل حقيقة المحبّة: حركة نفس المحبّ إلى محبوبه. فالمحبّة حركة بلا سكون " (٤٩).

وهذه الكائنات والمخلوقات العلويّة والسُّفليّة تتحرّك في موافقة للأمر الإلهي بنوعيه:

- إمَّا الأمر الدِّيني الشَّرعيّ الَّذي أحبّه الله وارتضاه لعباده.
- وإمَّا الأمر الكوني الَّذي قدَّره وقضاء (٥٠).

والأعمال الَّتي يُحبّها الله من عباده. وهي قربة وطاعة يثابون عليها. كالصَّبر. والإحسان. والتَّوبة. والتطهّر من الأقذار. والقتال في سبيله. وتحقيق التَّقوى. كلّ هذا وغيره أثبت الباري سبحانه أَنَّهُ يُحبّ المتّصفين بتلك الأعمال:

ففي الصَّبر قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وفي الإحسان قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤. ١٤٨. المائدة: ٩٣].

وفي التَّوبة من الذُّنوب والتطهّر من الأنجاس قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وفي الجهاد في سبيل الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤].

وفي شأن المتّقين قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التَّوبة: ٤. ٧] (٥١).

وتتبّع طُرق النُّصوص القرآنيّة والنَّبويّة. وإيراد آحادها يطول به المقام. وليس هذا موضعه. ولهذا قال ابن القيّم ـ رحمه الله ـ: "وجميع طرق الأدلّة ـ عقلاً ونقلاً وفطرة. وقياسًا واعتبارًا. وذوقًا ووجدًا ـ تدلّ على إثبات محبّة العبد لربّه. والرّبّ لعبده. وقد ذكرنا لذلك قريبًا من مائة طريق في كتابنا الكبير في المحبّة " (٥٢).

ومن أنكر هذا الأصل وهذه الحقيقة فقد جحد "حياة القلوب. ونعيم الأرواح. وبهجة النُّفوس. وقُرّة العيون. وأعلى نعيم الدّنيا والآخرة. ولذلك ضُربت قلوبهم بالقسوة. وضُربت دونهم ودون الله حُجُبٌ على معرفته ومحبّته. فلا يعرفونه ولا يُحبّونه. ولا يذكرونه إلاَّ عند تعطيل أسمائه وصفاته. فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم... وَحَسْبُ ذي البصيرة وحياة القلب: ما يرى على كلامهم من القسوة والمقت. والتَّنفير عن محبّة الله ﷻ ومعرفته وتوحيده " (٥٣).

وقد انحرف في باب المحبّة طوائف وفرق. فصاروا فريقين:

أحدهما: فريق أهل النَّظر والكلام من المنتسبين إلى العلم والسُّنَّة. جحدوا المحبّة وأنكروها. وكذّبوا بحقيقتها. فضاهوا المستكبرين من اليهود.

الثَّاني: فريق من أرباب التعبّد والتصوّف والزّهد. بسبب ما أحدثوه من البدع. أدخلوا فيها من الاعتقادات والإرادات الفاسدة ما شابهوا بها المشركين من النَّصارى (٥٤).

وهدى الله أهل العلم والإيمان أتباع الرُّسل الكرام الَّذين اصطفاهم الله على العالمين. فكان منهم الخليلان: إبراهيم إمام الحنفاء. ومحمَّد خاتم الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ قال تعالى في شأن يُوسف الصدّيق واتّباعِه محَابَّ خالقه: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٧ ـ ٤٠]

فتوحيد يُوسف وإخلاصه كان من أعظم أسباب عصمته من السُّوء والفحشاء. وهذا من تحقيق المحبَّة ولوازمها؛ من امتثال الأمر والنَّهي. والمجاهدة في سبيل الله. "وبهذا يتبيّن أنَّ محبّة الله توجب المجاهدة في سبيله قطعًا. فإنَّ من أحبَّ الله وأحبّه الله أحبّ ما يحبّه الله. وأبغض ما يبغضه الله. ووالى من يواليه الله. وعادى من يعاديه الله. لا تكون محبّته قطّ إلاَّ وفيها ذلك بحسب قوّتها وضعفها؛ فإنَّ المحبَّة توجب الدنوّ من المحبوب ومحابّه. والبعد عن مكروهاته. ومتى كان مع المحبَّة نبذ ما يبغضه المحبوب فإنَّها تكون تامّة " (٥٥).

فأعلى المحبوبات عند أتباع الرُّسل الكرام ـ صلَّى الله عليهم وسلّم ـ محبّة الله تعالى والمصطفين من المرسلين والنّبيين. وهي على درجتين:

الأولى: واجبة. وهي درجة المقتصدين؛ بأن يكون الله ـ تبارك وتعالى ـ ورسوله ﷺ أحبّ إليهم ممَّا سواهما. وهذا يقتضي محبّة جميع ما أوجبه الله تعالى. وبغض ما حرَّمه الله تعالى. وذلك واجب؛ فإنَّ إرادة الواجبات إرادة تامّة تقتضي وجود ما أوجبه. كما تقتضي عدم الأشياء الَّتي نهى الله عنها. وذلك مستلزم لبغضها التامّ.

الثَّانية: مستحبّة. وهي درجة السَّابقين؛ بأن يحبّ ما أحبه الله من نوافل العبادات والطَّاعات. وفضائل الأعمال والقُربات. محبّة تامّة تقتضي الدَّوام والملازمة. والاستمرار والمنافسة. وهذه حال المقرّبين الَّذين اختصّهم الله وقرَّبهم إليه (٥٦).

وهذا الفضل والتَّقريب لا يحصل لأتباع الرُّسل إلاَّ ببذل الجهد والمجاهدة. "وهي المبالغة في سبيل الله بكمال القدرة والطَّاقة. فيتضمّن شيئين:

أحدهما: استفراغ الوسع والطَّاقة.

والثَّاني: أن يكون ذلك في تحصيل محبوبات الله ودفع مكروهاته. والقدرة والإرادة بهما يتمّ الأمر " (٥٧).

ولهذا انقسم النَّاس في مسألة القدرة والإرادة والمحبّة إلى أربعة أقسام:

الأَوَّل: من لهم قدرة. ولديهم إرادة ومحبّة في غير ما أمر الله به: إمَّا محرّمة. كالفواحش. والإثم والبغي بغير الحقّ. والإشراك بالله. والقول عليه بغير علم. وإمَّا في مباحاتٍ لا ثواب فيها. والغالب على هذه إمَّا في سبيل الله. أو سبيل الشَّيطان.

الثَّانية: من فيهم إرادة صالحة. ومحبّة لله تامّة. لكن قدرتهم ناقصة. فهم يفعلون محبوبات الحق من مقدورهم. ولا يتركون مِمَّا يقوون عليه شيئًا. لكن قدرتهم قاصرة. ومحبّتهم كاملة. فهؤلاء ينالهم من سعادة المحبّين بمقدار المجاهدة في سبيل الله.

الثَّالثة: من لهم قدرة قاصرة. وإرادة للحقّ ناقصة. وفيهم من إرادة الباطل ما الله به عليم. فهؤلاء ضعفاء المجرمين. ولكن قد يكون لهم من التأثير بقلوبهم نصيب مع أهل باطلهم.

الرَّابعة: من لهم إرادة صالحة تامّة. ومحبّة لله كاملة. ولديهم قدرة كاملة. فهؤلاء سادة المحبّين المحبوبين. يحبّهم الله ويحبّونه. يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم. كالسَّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين (٥٨).

وأفضل أتباع النبيين الشَّيخين: الصدّيق والفاروق. فلم يخلق الله من أتباع المرسلين من بلغ في إرادته ومحبّته مثلهما. فجاءت أعمالهما. وجهادهما ونصرتهما للنَّبيّ ﷺ في أعلى المقامات وأسنى الدَّرجات. ولذا جاء تشبيههما بأربعة أنبياء على لسان المعصوم ﷺ. فشبّه أبو بكر الصدّيق بإبراهيم وعيسى ـ عليهما السَّلام ـ. وشبّه عمر الفاروق بنوح وموسى ـ عليهما السَّلام ـ. ففي مسند الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه... وفيه: فقال: " ... إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ. وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ. وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام. قَالَ: مَنْ ﴿تَبِعَنِي

﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى. قَالَ: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى. قَالَ تعالى: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] " (٥٩).

وقد أثنى الله ـ تبارك وتعالى ـ على الصدّيق في معرض حديثه عن الهجرة في سورة التَّوبة. وبيان اختصاص أبي بكر ﷺ بخصائص تميَّزَ بها عن عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنهما ـ (٦٠). فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التَّوبة: ٤٠]. وقد نقل الإمام البخاري في الجامع الصَّحيح قول عائشة الصدّيقة عن قوله تعالى: ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾. قالت: "وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ " (٦١).

وفي صنيع أبي بكر مع النَّبيّ ﷺ في رحلة الهجرة من مراعاة أدب الصّحبة. وحقوق الأخوّة ما عبّر عنه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ بقوله: "وفي الحديث من الفوائد...: خدمة التَّابع الحرّ للمتبوع في يقظته. والذبّ عنه عند نومه. وشدّة محبّة أبي بكر للنّبيّ ﷺ وأدبه معه. وإيثاره له على نفسه " (٦٢).

وفي الصَّحيحين عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: "خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ. فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ. قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ. فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ. وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ. لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ. إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ " (٦٣).

قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق هذا الحديث وأحاديث أخرى في فضل أبي بكر الصدّيق ﷺ.
قال: "فهذه النّصوص كلّها ممّا تُبيّن اختصاص أبي بكر من فضائل الصّحابة ومناقبها والقيام بها وبحقوقها بما لم يشركه فيه أحد. حتَّى استوجب أن يكون خليله دون الخلق لو كانت المخالّة ممكنة.

وهذه النّصوص صريحة بأنّه أحبّ الخلق إليه. وأفضلهم عنده " (٦٤).

وقال ـ أيضًا ـ: "والمقصود هنا: بيان اختصاصه في الصحبة الإيمانيّة بما لم يشركه مخلوق. لا في قدرها ولا في صفتها ولا في نفعها... وأمَّا كمال معرفته ومحبّته للنَّبيّ ﷺ وتصديقه له. فهو مبرّزٌ في ذلك على سائرهم؛ تبريزًا باينهم فيه مباينة لا تخفى على من كان له معرفة بأحوال القوم. ومن لا معرفة له بذلك لم تقبل شهادته.
وأمَّا نفعه للنَّبيّ ﷺ ومعاونته له على الدِّين فكذلك.
فهذه الأمور الَّتي هي مقاصد الصّحبة ومحامدها. الَّتي يستحقّ الصَّحابة أن يُفضّلوا بها على غيرهم. لأبي بكر فيها من الاختصاص بقدرها ونوعها وصفتها وفائدتها ما لا يشركه فيها أحد " (٦٥).

وباعث محبّة الشَّيخين ـ رضي الله عنهما ـ وخاصّة الصدّيق. كان من العلم الشَّائع بين المهاجرين والأنصار ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ حتَّى جاء في خبر السَّقيفة قول عمر ﷺ: "بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ. فَأَنْتَ سَيِّدُنَا. وَخَيْرُنَا. وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ. وَبَايَعَهُ النَّاسُ... " (٦٦)

قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ معلّقًا على هذا الخبر: "ففي هذا الخبر إخبار عمر ﷺ بين المهاجرين والأنصار أنَّ أبا بكر سيّد المسلمين وخيرهم. وأحبّهم إلى رَسُولِ الله ﷺ؛ ذلك عِلَّةُ مبايعته. فقال: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ. فَأَنْتَ سَيِّدُنَا. وَخَيْرُنَا. وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ ليُبيّن بذلك أنَّ المأمور به تولية الأفضل. وأنت أفضلنا فنبايعك " (٦٧).

وممَّن شهد للشَّيخين أبي بكر وعمر بالفضل والسّبق والزّلفى عند رَسُولِ الله ﷺ ابن عمّه وصهره عليّ بن أبي طالب الخليفة الرّابع الرّاشد. فقد روى البخاريّ بسنده عن محمَّد بن الحنفيّة قَالَ: "قُلْتُ لأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " (٦٨).

وجاء في رواية استغراب عليّ ﷺ من ابنه محمَّدًا أن كان يجهل مثل هذه المسألة الواضحة البيّنة لعموم المسلمين في عهد الخلافة الرَّاشدة. فقال عليّ مستغربًا: "... أوْ مَا تَعْلَمُ يَا بُنَيَّ؟ قُلتُ: لا... " (٦٩).

وهذا الكلام من علي ﷺ في جوابه لسؤال ولده محمّد جرى على سبيل التّواضع والهضم للنّفْس. وإلاَّ فإِنَّ عليًّا ﷺ كان يعلم أَنَّهُ يأتي في الفضل بعد الشّيخين. ولا سيما أَنَّهُ قال هذا الكلام بعد مقتل عثمان ﷺ. وحداثة سِنِّ محمَّد بن الحنفيّة دفعته إلى أن يقول لأبيه: "... ثمَّ أنت "؛ خشية أن يقول عليّ: "ثمَّ عثمان "؛ لأنّ اعتقاد ابن الحنفيّة أنَّ أباه أفضل من عثمان. وهي مسألة خلافيّة وقعت بين السَّلف منذ العصر الأَوَّل. فمنهم من قدّم عليًّا على عثمان. ومنهم من قدّم عثمان على عليّ. وقد استقر الأمر على أَنَّهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة (٧٠).

ومن شهادات أبي الحسنين علي بن أبي طالب ﷺ الواضحة البيّنة لمحبّة النَّبيّ ﷺ لأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ما رواه البخاريّ ومسلم عن عليّ ﷺ ـ واللّفظ للبخاريّ ـ وذلك عندما وضع عمر على سريره ميتًا. قال: "إِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ؛ لأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. فَإِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا... " (٧١).

وهذه الصحبة منه ﷺ لأبي بكر وعمر. إنّما كانت في تدبير أمور المسلمين. ورعاية مصالح الأمّة الدِّينيَّة والدّنيويّة. حيث كانا وزيريه؛ يأنس بهما. ويتداول معهما في أمور المسلمين. وسياسة الرعيّة. وتحقيق المصالح العليا. وإبلاغ الدِّين للعالمين. حتَّى كان ﷺ يقول لهما: "إِذَا اتفقتما على شيء لم أخالفكما " (٧٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: "فإِنَّه لو أحصي الزَّمان الَّذي كان يجتمع فيه أبو بكر بالنَّبيّ ﷺ والزَّمان الَّذي كان يجتمع به فيه عثمان أو عليّ أو غيرهما من الصَّحابة. لوجد ما يختصّ به أبو بكر أضعاف ما اختصّ به واحد منهم. لا أقول: ضِعْفَه. وأمَّا المشترك بينهم فلا يختصّ به واحد " (٧٣).

ومن المواطن الَّتي برز فيها مكانة الشَّيخين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ: ما جرى في صُلح الحديبية. وكان فتحًا عظيمًا. ونصرًا في ميدان الدَّعوة. ونشر الإسلام بين القبائل. فاختلط النَّاس بعضهم ببعض "وبادؤوهم بالدّعوة. وأسمعوهم القرآن. وناظروهم على الإسلام جهرةً آمنين. وظهر من كان مختفيًا بالإسلام. ودخل فيه في مدّة الهدنة من شاء الله أن يدخل. ولهذا أسماه الله فتحًا مبينًا " (٧٤).

فكان ذلك الامتحان العظيم لإيمان الصَّحابة وتسليمهم وإذعانهم. وصبرهم على السرّاء والضرّاء. وتمايز ما بين الشَّيخين في هذا الباب. يقول سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ. اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا. فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ. أَلَسْنَا عَلَى

الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: بَلَى. فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلاَمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا. أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟. فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ. وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا. فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا. فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ " (٧٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ معلِّقًا على موقف الشَّيخين ـ رضي الله عنهما ـ: "وأبو بكر أطوعهم لله ورسوله. لم يصدر عنه مخالفة في شيء قطّ. بل لما ناظره عمر. بعد مناظرته للنّبيّ ﷺ أجابه أبو بكر بمثل ما أجابه النّبيّ ﷺ من غير أن يسمع جواب النّبيّ ﷺ " (٧٦).

فكان النَّاس في ذهول من أمرهم. وَعَدَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ بدخول المسجد الحرام. وأقبلوا على مكّة محرمين. قد ساقوا الهدي. وأشعروا البُدن. فكان ما كان من أمر الصُّلح. فتوقّفوا عن الحلق والنّحر بعد أمره ﷺ بذلك. فهذا عمر يناظر ليثني الرّسولَ ﷺ عن الصُّلح. وإعطاء الدنيّة في نظره. وهذا عليّ ﷺ يمتنع من أن يمحو اسم الرّسولِ ﷺ بوصف الرِّسالة من الصحيفة. وهذا سهل بن حُنيف ﷺ يقول: لو استطعت أن أردَّ أمر رَسُولِ الله ﷺ لرددته.

"ولا ريب أنَّ الَّذي حملهم على هذا حُبُّ الله ورسوله. وبغض الكفَّار. ومحبّتهم أن يظهر الإيمان على الكفر. وألا يكون قد دخل على أهل الإيمان غضاضة وضَيْم من أهل الكفر. ورأوا أنَّ قتالهم لئلاّ يُضاموا هذا الضَّيم أحبّ إليهم من هذه المصالحة الَّتي فيها من الضّيم ما فيها " (٧٧).

ولعلّي أختم الكلام على باعث المحبّة لتقديم أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق ـ رضي الله عنهما ـ على سائر الصّحب الكرام. بشهادة أحد رؤوس المشركين آنذاك في مكّة حين غزوة أحد. وما أصاب المسلمين من الهزيمة بعد النَّصر. وما كان من الحوار الَّذي دار بين أبي سفيان. ورَسُولِ الله ﷺ وصاحبيه. قال فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ. ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاَءِ فَقَدْ قُتِلُوا. فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ. إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ. وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ. قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ. وَالْحَرْبُ سِجَالٌ. إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي. ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ. أُعْلُ هُبَلْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلاَ تُجِيبُونَهُ؟". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ. مَا نَقُولُ؟. قَالَ: "قُولُوا:

اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ " . قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلاَ تُجِيبُونَهُ؟ " . قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ. مَا نَقُولُ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ " [٧٨].

فهذا قائد المشركين. ومقدّم الكافرين. والصّادّ عن سبيل المرسلين آنذاك. لم يسأل إلاَّ عن الثّلاثة؛ لعلمه وعلم كلّ المعاصرين له ما كان بين الرّسولِ ﷺ وصاحبيه من الصّحبة والمحبّة الكاملة. فهم رؤوس النّاس في هذا الدِّين. وقيامُه بهم. فلا تمام لأمر هذا الدّين بعد رَسُولِ الله ﷺ إلاَّ بوزيريه. وأنّهما أخصّ النّاس به ﷺ [٧٩].

وكان نهي النّبيّ ﷺ لصاحبيه عن إجابته أوّلاً لحكمة رآها النّبيُّ ﷺ. وهي أنَّ رغبة المشركين في الانتقام ما زالت تغلي في نفوســـهم. ثمَّ بردت بعد أن ظنُّوا موت الثّلاثة. ثمّ كان الجواب من عمر. ثمّ الإذن للصّحابة في الجواب عندما كان أبو سفيان يتعاظم بآلهته وشركه. فجاء الردّ؛ دفاعًا عن التّوحيد. ودحضًا للشِّرك. وفيه إهانة لهم ولآلهتهم المزعومة. وبكلّ حال كان السُّكوت أوّلاً أفضل وأحسن. والإجابة آخرًا أفضل وأكمل. فسبحان من وضع الحكمة والنُّبوّة في أكرم الخلق. وخصّه بأفضل أهل الأرض أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق. وبقيّة العشرة. وأصحاب الشّجرة. والذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا والذين جاءوا بعد الفتح ودخلوا في دين الله أفواجًا. فللّهِ الحمد في الأولى والآخرة. وله الشُّكر أن جعلنا من الَّذين يقولون: ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان. ولم يجعل في قوبلنا غلاًّ لأولئك الصَّحب والآل الكرام.

المبحث الثالث: باعث المشاورة

الشُّورى مبدأ اتّفق على حُسنه ونفعه جميع البشر. واقترن بوجود الإنسان على ظهر الأرض. بل وقبل وجوده. وقد جاء القرآن الكريم في إشارة لطيفة من الله ـ تبارك وتعالى ـ عندما خاطب الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] فالله غنيّ بعلمه وحكمته وقدرته عن الخلق وإعانتهم له سبحانه بالرأي ونحوه. وإنما الغرض "ليكون التّشاور سنّة في البشر؛ ضرورة أَنَّهُ مقترن بتكوينه؛ فإنَّ مقارنة الشيء للشيء في أصل التّكوين يوجب إلفه وتعارفه " [٨٠].

واستمرّ الأمر في بني آدم مؤمنين وكافرين يعملون بالشُّورى في مصالح دولهم وشعوبهم وقبائلهم وأسرهم. وذكر القرآن صورًا للشُّورى. فهذا فرعون ـ مع ظلمه وتجبّره ـ كان يشاور الملأ من قومه في شأن موسى ﷺ

قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشُّعراء: ٣٤ . ٣٥].

وهذه ملكة سبأ تردّ الأمر إلى قومها؛ ﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النَّمل: ٣٢].

وأكرم الخلق محمَّد ﷺ . مع كمال عقله. وغناه بالوحي عن المشاورة . خاطبه الله . تبارك وتعالى . بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

"يدلُّ هذا على جواز الاجتهاد في الأمور. والأخذ بالظّنون مع إمكان الوحي؛ فإنَّ الله أذن لرسوله ﷺ في ذلك... تطييبًا لنفوسهم. ورفعًا لأقدارهم. وتألّفًا على دينهم. وإنّ الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه... وإنما أراد أن يعلّمهم ما في المشاورة من الفضل. وَلِتَقْتَدِي به أمّته من بعده " (٨١).

وبما أنَّ الشُّورى من محاسن دين الإسلام. فإنَّ "الظَّاهر أَنَّها لا تكون في الأحكام الشَّرعيَّة؛ لأنّ الأحكام الشَّرعيَّة إن كانت بوحي فظاهر. وإن كانت اجتهاديّة. بناءً على جواز الاجتهاد للنَّبيّ ﷺ في الأمور الشَّرعيَّة. فالاجتهاد إنَّما يستند للأدلّة لا للآراء... ولم يزل من سنّة خلفاء العدل استشارة أهل الرأي في مصالح المسلمين " (٨٢).

واستشارة كلّ قوم بحسبهم:

. فيشاور العلماء من أهل الحديث والفقه والاعتقاد في أمور الدِّين.

. ويشاور قوّاد الجيوش وأمراء الحرب فيما يتعلّق بالحروب والقتال.

. ويشاور الكتّاب والعمّال والوزراء فيما يتعلّق بمصالح البلاد وعمارتها وتخطيطها.

. ويشاور أهل الطبّ والصِّناعات والحرف فيما يحسنون من تخصصاتهم لنفع الأمّة. والرقيّ بها بين الأمم (٨٣).

واستجابة لأمر الله . تبارك وتعالى . لنبيّه ﷺ في أمره بالشُّورى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وبما أثنى الله . سبحانه . على أوليائه ومنهم المهاجرون والأنصار في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشُّورى: ٣٨] (٨٤) كان عليه الصَّلاة والسَّلام يستشير عموم النَّاس في مواطن يحتاج فيها إلى الرأي العام من أكثر النَّاس.

ـ فشاورهم يوم بدر في الذَّهاب إلى العير. وكانت ألف بعير موقرة بالأموال فيها تجارة قريش في نفر لا يزيدون عن الخمسين. فكان اللقاء الَّذي كرهه بعض المؤمنين. قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥ ـ ٦].

ـ وشاورهم يوم أحد في البقاء داخل المدينة والتحصّن فيها. أو الخروج ولقاء العدوّ خارجها. فأشار فريق من أصحابه بالأوّل. وذهب آخرون ـ ممّن فاتهم المشاركة في بدر ـ إلى الثَّاني. فعزم النَّبيُّ ﷺ على الخروج. ولبس لأمة الحرب. مع علمه بما سيقع له ولأصحابه بسبب الرؤيا الَّتي رآها قبل أحد؛ امتثالاً لقول خليله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ـ وشاورهم يوم الخندق حين تداعت على المدينة الأحزاب من قريش وغطفان. وسائر القبائل العربيَّة النَّاقمة على الدِّين الحقّ الَّذي جاء به محمَّد ﷺ من ربّه ـ تبارك وتعالى ـ. وهمّ بمصالحتهم على نصف ثمار المدينة. فأبى الأنصار والمسلمون إعطاءهم شيئًا من ثمار المدينة. فأشار عليه سلمان الفارسيّ رضي الله عنه بحفر الخندق من الجهة الشَّماليّة للمدينة النَّبويَّة. جهة أحد. فكان كلّ عشرة رجال من الصَّحابة في أربعين ذراعًا. فكان يقين أهل الإيمان الرَّاسخ أن قالوا حين رأوا الأحزاب: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وأمَّا أهل الرّيب وحبّ الدّنيا وكراهية الجهاد في سبيل الله. فقالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب: ١٢].

وشاور النَّبيُّ ﷺ الجيش بأكمله بعد وقعة حنين؛ في غنائم وسبي هوازن. وذلك بعد أن خَيَّرَ القوم بين الأموال والذّراري. فاختاروا الأحساب على الأموال. إذ بلغ عدد الأسرى من النّساء والأبناء ستّة آلاف. أمَّا الأموال: فكانت أربعة آلاف أوقيّة فضّة. وأربعة وعشرين ألفًا من الإبل. وأربعين ألف شاة (٨٥).

روى البخاري بسنده عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ. أَنَّ مَرْوَانَ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَاهُ؛ "أَنَّ رَسُولَ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ. فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَعِي مَنْ تَرَوْنَ. وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ. فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ؛ إِمَّا السَّبْيَ. وَإِمَّا الْمَالَ. وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ ـ وَكَانَ أَنْظَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ ـ. فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلاَّ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ. فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ

بِمَا هُوَ أَهْلُهُ. ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ. وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ. فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ. وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ. فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا لاَ نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ. فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ. فَرَجَعَ النَّاسُ. فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا " (٨٦).

يقول ابن القيّم ـ رحمه الله ـ مستنبطًا الفوائد والدّروس من قصّة الحديبية: "... ومنها: استحباب مشورة الإمام رعيّته وجيشه؛ استخراجًا لوجه الرأي. واستطابة لنفوسهم. وأمنًا لعتبهم. وتعرّفًا لمصلحة يختصّ بعلمها بعضهم دونَ بعض. وامتثالاً لأمر الربِّ في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقد مدح ﷻ عباده بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشُّورى: ٣٨]. " (٨٧).

هذا من جِهَةِ أَخْذِ النَّبيّ ﷺ المشورة من عموم النَّاس كما تقدَّم في مواطن الجهاد والحرب. أمَّا اختصاص أقوام بأعيانهم في أمر الشُّورى عند النَّبيّ ﷺ فقد اصطفى الخاصّة من أصحابه لمشاورتهم (٨٨) في أمور عنّت له في حياته ﷺ. ومن هؤلاء: أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ.

قال ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ: "... فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأُسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ. هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ. أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ؛ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ. وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ. فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ. وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلاَنٍ ـ نَسِيبًا لِعُمَرَ ـ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ. وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؛ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ. وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ. لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾. فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ " (٨٩).

وهذا الاختصاص للشَّيخين يجري في الأمور العامّة الكليّة الَّتي يتعلّق بها مصالح الدَّولة. وعموم الأمّة. خلافًا للأمور الخاصَّة به ﷺ. فقد كان يشاورهما ويشاور غيرهما. يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: "فإِنَّ أبا بكر وعمر كانا مع النَّبيّ ﷺ مثل الوزيرين له. شاورهما في أسرى بدر ما يصنع بهم. وشاورهما في وفد بني تميم لمن يولّي عليهم. وشاورهما في غير ذلك من الأمور العامّة. يخصّهما بالشُّورى... وإن دخل غيرهما في الشُّورى. لكن هما الأصل في الشُّورى. وكان عمر تارة ينزل القرآن بموافقته فيما يراه. وتارة يتبيّن له الحقّ في خلاف ما رآه فيرجع عنه " (٩٠).

وفي موطن آخر قال ـ أيضًا ـ: "وكان النَّبيُّ ﷺ في مشاورته لأهل الفقه والرأي يقدّم في الشُّورى أبا بكر وعمر. فهما اللّذان يتكلّمان في العلم. ويتقدّمان بحضرته على سائر الصَّحابة. مثل مشاورته في أسارى بدر. وغير ذلك " (٩١).

واختصاص الصدّيق كان أكثر من عمر في شأن الشُّورى. فإِنَّ ملازمة الشَّيخين له ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ والاجتماع به في أمور المسلمين لا يُحصى. وأبو بكر كان يسمر عند النَّبيّ ﷺ في أمر المسلمين باللّيل (٩٢).

وفضل الشَّيخين ومكانهما من النَّبيّ ﷺ كان من العلم الشَّائع عند العلماء في عصر التَّابعين وتابعي التَّابعين. فهذا الخليفة هارون الرّشيد سأل إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمهما الله ـ عن منزلتهما من الرَّسولِ ﷺ فقال له: "منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه في مماته ". فقال: "شفيتني يا مالك. شفيتني يا مالك " (٩٣).

وهذه المنزلة الرَّفيعة جاءت من "كثرة الاختصاص والصّحبة. مع كمال المودّة والائتلاف والمحبّة. والمشاركة في العلم والدِّين تقتضي أنَّهما أحقّ بذلك من غيرهما. وهذا ظاهر بَيِّن لمن له خبرة بأحوال القوم.

وأمَّا الصدّيق فإِنَّه مع قيامه بأمور العلم والفقه عجز عنها غيره. حتَّى بيّنها لهم. لم يحفظ له قول يخالف فيه نصًّا. وهذا يدلّ على غاية البراعة والعلم " (٩٤).

وفي قصّة الإفك شاور ﷺ نفرًا من خاصّة أصحابه. وأهل بيته. تقول أمّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي تروي حديث الإفك الطّويل. وفيه قالت: "... فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا ـ حِينَ اسْتَلْبَثَ (٩٥) الْوَحْيُ يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ. وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَكَ. وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا.

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ. وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ. وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: أَيْ بَرِيرَةُ. هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟ قَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا. فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ... " (٩٦).

وقد أطال الحافظ ابن حجر النَّفَس عند شرح هذا الحديث. واستخراج فوائده وأحكامه.

منها: استشارة المرء أهل بطانته ممَّن يلوذ به بقرابة وغيرها. وتخصيص من جرّبت صحّة رأيه منهم بذلك. ولو كان غيره أقرب. والبحث عن حال من اتّهم بشيء. وحكاية ذلك للكشف عن أمره. ولا يُعدّ ذلك غيبة.

ومنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلاَّ بعد نزول الوحي.

ومنها: النَّدب إلى قطع الخصومة. وتسكين ثائرة الفتنة. وسدّ ذريعة ذلك. واحتمال أخفّ الضَّررين بزوال أغلظهما. وفضل احتمال الأذى.

ومنها: تثبّت أبي بكر الصّدّيق في الأمور؛ لأنَّهُ لم يُنقل عنه في هذه القصّة مع تمادي الحال فيها شهرًا كاملاً كلمة فما فوقها. إلاَّ ما ورد عنه في بعض طرق الحديث أنَّهُ قال: "واللهِ مَا قِيْلَ لَنَا هَذَا فِي الجَاهِلِيَّةِ. فَكَيْفَ بَعْدَ أنْ أَعَزَّنَا اللهُ بِالإِسْلاَمِ! " (٩٧).

ومنها: أنَّ الشِّدَّة إذا اشتدّت أعقبها الفَرَجُ. وفضل من يفوّض الأمر لربّه. وأنّ من قوي على ذلك خفّ عنه الهمّ والغمّ.

ومنها: التَّسبيح عند التعجّب واستعظام الأمر. وذمّ الغيبة. وذم سماعها. وزجر من يتعاطاها. لا سيّما إن تضمّنت تهمة المؤمن بما لم يقع منه. وذمّ إشاعة الفاحشة. وتحريم الشكّ في براءة عائشة (٩٨).

ومن خلال ما تقدَّم عرضه يتّضح جليًّا مكانة الشَّيخين من رَسُولِ الله ﷺ. وأنّهما بالمكان الرَّفيع. والمنزلة العالية. وموضع الشُّورى؛ لرجاحة عقليهما. فكان لحرص النَّبيِّ ﷺ على أبي بكر وعمر في مشاورتهما

ثمرة عظيمة. قال عنها أبو بكر بن العربي ـ رحمه الله ـ: "الشُّورى ألفة للجماعة. ومِسْبَارٌ للعقول. وسبب إلى الصَّواب. وما تشاور قوم إلاَّ هُدوا " (٩٩).

المبحث الرَّابع: باعث الإنفاق

اقتضت حكمة الله ـ تبارك وتعالى ـ وعلمه. أن جعل المال قيامًا للنَّاس. وقوامًا للأنفس. ونهى العقلاء أن يؤتوه السُّفهاء من النِّساء والأولاد (١٠٠). فقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النِّساء: ٥].

وتحدَّث القرآن العزيز عن أصناف السُّعداء. فبدأ بالمنفقين للأموال والمتصدّقين. فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ...﴾ [الحديد: ١٨ ـ ١٩].

وكثير من فرائض الإسلام ومواضع رضى الرَّحمن مرتبطة بالمال. تقوم بقيامه. وتسقط بفقده. ومن تلك العبادات والقربات:

ـ الحجّ لمن استطاع إليه سبيلاً. والجهاد.

ـ القربات الواجبة والمستحبّة. كالعتق. والوقف. وبناء المساجد. والمشافي. ودور العلم.

ـ النِّكاح الَّذي يكمل به نصف الدِّين. وهو أفضل من نوافل العبادات.

ـ الدَّعوة إلى الله تعالى. وهداية الخلق إلى الدِّين الحقّ. وبذل الغالي والنَّفيس لهذه الغاية.

ـ نصرة المستضعفين. ومن حلّ بهم شيء من العقوبات الإلهيَّة من مسلمين وكفّار؛ لإغاثتهم وَمَدِّ يَدِ العون لهم.

ـ حبس الأموال. وبذلها لبناء الأوقاف في شتَّى الميادين العلميَّة. والاجتماعيَّة. والعباديّة. والثَّقافيّة. وغيرها.

يقول ابن القيّم ـ رحمه الله ـ: "والجهاد ذروة سنام العمل. وتارة يكون بالنَّفس. وتارة يكون بالمال. وربما كان الجهاد بالمال أنكى وأنفع. وبأيّ شيء فُضّل عثمان على عليّ. وعليّ أكثر جهادًا بنفسه. وأسبق إسلامًا من عثمان؟!. وهذا الزُّبير وعبد الرَّحمن بن عوف أفضل من جمهور الصَّحابة مع الغنى الوافر. وتأثيرهم في الدِّين أعظم من تأثير أهل الصُّفَّة " (١٠١).

وكان من عوامل بذل أغنياء الصَّحابة. وإنفاقهم الأموال الجزيلة الوافرة؛ ما سمعوه من الوحي الصَّادق. والوعد الأخرويّ والدّنيويّ لمن أطلق يده في سبيل الله. وهم يسمعون قول الله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ويتلون قوله سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]. وقوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التّغابن: ١٧].

وللصَّدقة والإنفاق فضائل عظيمة فهي وقاية للعبد من النَّار والمنفق المتصدّق المخلص المسرُّ بصدقته مستظلّ في ظلّ عرش الرّحمن يوم القيامة، قال ﷺ: "إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَلَى أَهْلِهَا حَرَّ القُبُورِ. وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ المؤْمِنُ يَومَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ " (١٠٢).

وعنه ـ أيضًا ـ يرفعه: "كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ " وَكَانَ بعضُ رواةِ هَذَا الحديثِ لاَ يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ إِلاَّ تَصَدَّقَ فِيهِ. وَلَوْ بِكَعْكَةٍ أَوْ بَصَلَةٍ (١٠٣).

وبذل المال في وجوه الخير يقع عند الله بمكان؛ لما جاء في الصَّحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ أَنَّهُ قال: "مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ـ وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ ـ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ. ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ (١٠٤) حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ " (١٠٥).

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: "وضرب به المثل؛ لأنَّهُ يزيد زيادة بيّنة. ولأنّ الصَّدقة نتاج العمل. وأحوج ما يكون النتاج إلى التَّربية إذا كان فطيمًا. فإذا أحسن العناية به؛ انتهى إلى حدّ الكمال. وكذلك عمل ابن آدم ـ لا سيما الصَّدقة ـ فإنَّ العبد إذا تصدّق من كسب طيّب لا يزال نظر الله إليها (١٠٦) يكسبها نعت الكمال حتَّى تنتهي بالتَّضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدّم نسبة ما بين التَّمرة إلى الجبل " (١٠٧).

ولو لم يكن في الصَّدقة بالمال وبذله في وجوه الخير إلاَّ هذه الرّعاية الربّانيّة لكفى. إلاَّ أنَّ هناك فوائد جمّة. فهي "تطفئ الخطيئة، وتحفظ المال، وتجلب الرّزق، وتفرح القلب، وتوجب الثّقة بالله وحسن الظنّ

به.... وترغم الشَّيطان. وتزكّي النَّفْسَ وتنميها، وتحبّب العبد إلى الله وإلى خلقه، وتستر عليه كلّ عيب... وتزيد في العمر، وتستجلب أدعية النَّاس ومحبّتهم، وتدفع عن صاحبها عذاب القبر، وتكون عليه ظلاًّ يوم القيامة، وتشفع له عند الله، وتهوّن عليه شدائد الدّنيا والآخرة، وتدعوه إلى سائر أعمال البرّ؛ فلا تستعصي عليه. ومنافعها أضعاف ذلك " (١٠٨).

وقد امتدح سبحانه الَّذين أنفقوا من قبل الفتح وبعده. ونفى التَّسوية بينهما. فقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وجماهير المفسِّرين على أنَّ الفتح في الآية المراد منه: فتح مكَّة. وقيل: صُلح الحديبية (١٠٩). وعلى كلا القولين فإنَّ الإنفاق والقتال حال القلّة والضَّعف أفضل وأعظم أجرًا عند الله ـ تبارك وتعالى ـ؛ "لأنَّ الزَّمان الَّذي قبل فتح مكَّة كان زمان ضعف المسلمين؛ لأنّ أهل الكفر كانوا أكثر العرب. فلمَّا فُتحت مكَّة دخلت سائر قريش والعرب في الإسلام. فكان الإنفاق والجهاد فيما قبل الفتح أشقّ على نفوس المسلمين؛ لقلّة ذات أيديهم. وقلّة جمعهم قبالة جمع العدوّ.... ونفي التَّسوية؛ مراد به نفيها في الفضيلة والثَّواب... " (١١٠).

والَّذي يظهر لي أنَّ الرَّاجح هو قول من قال من المفسِّرين أنَّ المراد بالفتح صُلح الحديبية لا فتح مكّة؛ لأنَّ السَّابقين الأوّلين وفضلاء الصَّحابة غالبهم أسلم قبل فتح الحديبية. ولِمَا حصل من آثار الصُّلح من نشر الإسلام. وتبليغ الدَّعوة. واختلاط المسلمين بالكافرين. فدخل في تلك المدّة قريب من عدد من دخل في الإسلام قبل الحديبية (١١١).

وأعظم الصَّحابة ﭫ إنفاقًا في سبيل الله، ونصرة دينه، وإبلاغ دعوة التَّوحيد: أبو بكر الصدّيق وعمر الفاروق ـ رضي الله عنهما ـ. وشهد لأبي بكر ﭬ رَسُولُ الله ﷺ روى مسلم بسنده عن أبي سعيد ﭬ أَنَّهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً. وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ. لاَ تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةَ (١١٢) أَبِي بَكْرٍ " (١١٣).

قال النَّووي ـ رحمه الله ـ في شرحه: "قال العلماء: معناه: أكثرهم جودًا وسماحة لنا بنفسه وماله. وليس هو من المنّ الَّذي هو الاعتداد بالصّنيعة؛ لأنَّهُ أذى مبطل للثَّواب. ولأنّ المنّة لله ولرسوله ﷺ في قبول ذلك وفي غيره " (١١٤).

ومن صور جُود الصدّيق والفاروق: ما رواه أبو داود بسنده عن عمر بن الخطّاب ﷺ أنَّهُ قال: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ. فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي. فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا. فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ. قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لاَ أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا " (١١٥).

ونزل الوحي من السَّماء ـ عند جمع من المفسِّرين ـ في الثَّناء على أبي بكر الصدِّيق (١١٦)؛ لقاء ما بذل وأنفق نصرة لله ـ تبارك وتعالى ـ ولرسوله ﷺ في قوله سبحانه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [اللَّيل: ١٧ ـ ٢١].

وممَّا يدلّ من براهين وقرائن على أنَّ آخر سورة اللَّيل نزل في أبي بكر الصدّيق ما يلي:

أوَّلاً: أنَّهُ قال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾. وقال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ فلا بُدَّ أن يكون أتقى الأمّة داخلاً في هذه الآية. وهو أكرمهم عند الله. ولم يقل أحد: إنَّ أبا الدّحداح ونحوه أفضل وأكرم من السَّابقين الأوّلين من المهاجرين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وغيرهم.

بل الأمّة كلّهم ـ سنيّهم وغير سنيّهم ـ متّفقون على أنَّ هؤلاء وأمثالهم من المهاجرين أفضل من أبي الدّحداح، فلا بُدَّ أن يكون الأتقى الَّذي يؤتي ماله يتزكّى منهم.

وأبو بكر بشهادة النَّبيّ ﷺ أكثر النَّاس نفعًا بماله منذ إسلامه وإلى أن لحق الرَّسولُ ﷺ بالرّفيق الأعلى؛ لما جاء في المسند عن الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلاَّ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ " (١١٧).

فهذا نفي لجميع مال الأمّة في عهده ﷺ أن حصل له به نفع كنفع مال الصدّيق ﷺ. فكيف تكون تلك الأموال المفضولة دخلت في الآية. والمال الَّذي هو أنفع الأموال لم يكن داخلاً فيها؟! (١١٨).

ثانيًا: أَنَّهُ إذا عُلم أنَّ الأتقى الموصوف في الآية بأنّه يؤتي ماله يتزكّى. وأكرم الخلق أتقاهم. كان هذا الَّذي وصف في الآية أفضل النَّاس. والقولان المشهوران في الآية:

قول أهل السُّنَّة: أنَّ أفضل الخلق أبو بكر.

وقول الشِّيعة: أَنَّهُ عليّ.

فلم يجز أن يكون الأتقى الَّذي هو أكرم الخلق على الله واحدًا غيرهما. وإذا ثبت أَنَّهُ لا بُدَّ من دخول أحدهما في الأتقى أن يكون أبو بكر داخلاً في الآية. ويكون أولى بذلك من عليّ ـ رضي الله عنهما ـ؛ لأسباب:

الأَوّل: أَنَّهُ قد ثبت بالنّقل المتواتر ـ كما في الصَّحيحين وغيرها ـ أنَّ أبا بكر أنفق ماله. وأَنَّهُ مقدّم في ذلك على جميع الصَّحابة. بما فيهم عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أجمعين.

الثَّاني: أنَّ الآية نصّت على أنَّ الأتقى لم يكن لأحد عنده نعمة تُجزى. وهذا لأبي بكر دون عليّ وغيره؛ لأنّ أبا بكر كان للنَّبيّ ﷺ عنده نعمة أن هداه الله للإيمان به. وهذه لا يجزى بها الخلق. بل هي للخالق ﷻ.

أمَّا النِّعمة الَّتي يجزى بها الخلق فهي نعمة الدّنيا. وأبو بكر لم تكن للنَّبيّ ﷺ عنده نعمة في الدّنيا. بل نعمة دين. بخلاف عليّ. فإنَّه كان للنَّبيّ ﷺ عنده نعمة دنيا يمكن أن تُجزى (١١٩).

الثَّالث: أنَّ الصدّيق لم يكن بينه وبين النَّبيّ ﷺ سبب يواليه لأجله. ويُخرج ماله إلاَّ الإيمان. ولم ينصره كما نصره أبو طالب لأجل القرابة والحميّة. وكان عمل الصدّيق كاملاً في إخلاصه لله تعالى. كما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [اللّيل: ٢٠ ـ ٢١].

وكذلك غير الصدّيق كزوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ والزَّوجة قد تنفق مالها على زوجها. وإن كان دون النَّبيّ ﷺ.

وعليّ لو قُدّر أَنَّهُ أنفق ـ وقد كان فقيرًا. ضمّه النَّبيُّ ﷺ إلى عياله في أَوّل الإسلام ـ لكان إنفاقه على قريب. وهذه أسباب قد يُضاف باعث الإنفاق إليها. بخلاف أبي بكر الصدّيق. فإنَّه لم يكن له سبب إلاَّ باعث الإيمان بالله وحده. فصار هو الأولى والأحقّ بثناء الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [اللّيل: ١٧ ـ ٢١] (١٢٠).

الرَّابع: أنَّ هذه الآية على فرض دخول سائر الصَّحابة المنفقين فيها. فأبو بكر أولى وأحقّ بالدّخول فيها؛ إذ هو أعظم الصَّحابة إنفاقًا وبذلاً؛ بشهادة الرَّسولِ ﷺ. فيكون هو الأتقى من هذه الأمّة. فيكون أفضلهم؛ لوجود صفات ذكرها الله تعالى. أبو بكر أكمل فيها من جميع الأمّة (١٢١).

وعندما ينظر الباحث المنصف في سيرة الصَّحابة ـ رضيَ الله عنهم أجمعين ـ يجد أنَّ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه صاحب اليد الطُّولى في الإنفاق والبذل. وخاصّة في أَوّل الأمر قبل الفتح؛ لشدّة الزّمان. وضيق الحال عند المسلمين. وما صبّه المشركون من التّنكيل والتَّعذيب بأتباع الدّعوة. فكان الصدّيق يبذل مالاً جزيلاً في عتق

وفكاك المعذّبين من العبيد ونحوهم. فكان مِمَّنْ أعتق: بلال بن رباح. وعامر بن فهيرة. والنهديّة وابنتها. وزنّيرة. وأمّ عبيس. وَأَمَةُ بني المؤمِّل (١٢٢).

قال شيخ الإسلام: "قال سفيان: فأمَّا زنّيرة فكانت روميّة. وكانت لبني عبد الدَّار. فلمَّا أسلمت عميت. فقالوا: أعمتها اللات والعزّى. قالت: فهي كافرة باللات والعزّى. فردّ الله إليها بصرها.

وأمَّا بلال فاشتراه وهو مدفون في الحجارة. فقالوا: لو أبيتَ إلاَّ أوقيّة لبعناكه. فقال أبو بكر: لو أبيتم إلاَّ مائة أوقيّة لأخذته.

قال: وفيه نزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [اللّيل: ١٧] إلى آخر السُّورة.

وأسلم وله أربعون ألفًا. فأنفقها في سبيل الله " (١٢٣).

فللّهِ درّ شاعر الأنصار حسَّان بن ثابت ﵁ إذ يقول(١٢٤):

إِذَا تَـذَكَّرتَ شَـجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَـةٍ	فَـاذكُرْ أَخَـاكَ أَبَا بَكْـرٍ بِمَـا فَـعَـلاَ
خَـيْرَ الـبَرِيَّـةِ أَتْـقَـاهَـا وأَعْـدَلَهَـا	بَـعْـدَ الـنَّـبِيِّ وأَوْفَـاهَـا بِمَـا حَمَـلاَ
الثَّـانِي التَّـالِي المحْمُودُ مَشْـهَـدُهُ	وأَوَّلُ النَّـاسِ مِنْهُمْ صَـدَّقَ الرُّسُـلاَ

وبهذا نعلم أنَّ الشَّيخين ـ رضي الله عنهما ـ قد بلغا من البرّ والإحسان والإيمان أعلى المراتب. وقد قال سبحانه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]. ولا أحد أَبَرَّ ممَّن جاء بماله كلّه. ومن جاء بنصف ماله من أتباع المرسلين كأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وجزاهما عن النَّبيّ ﷺ وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. ووقانا سبحانه الشحّ والبخل. وجعلنا من المنفقين سِرًّا وعلانية. أولئك لهم ﴿أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

المبحث الخامس: آثار تفضيل الشَّيخين

المطلب الأَوَّل: اجتماع الكلمة عليهما . رضي الله عنهما:

الوحي الإلهيّ الَّذي أنزله الله . تبارك وتعالى . على خليله محمَّد بن عبد الله ﷺ. وتلقَّاه الصَّحابة الكرام ﵃ كان من أعظم أسباب تحقيق الوحدة الإسلاميَّة. واجتماع كلمة القبائل العربيَّة. بل القبيلة الواحدة كقريش. والأوس. والخزرج. وغيرها. فإعجاز القرآن في بناء الأمّة الواحدة. وتحويل تلك المجتمعات القائمة على الحميّة الجاهليَّة. والعصبيّة القوميّة. والثارات والغارات. ومظاهر الشِّرك والوثنيّة في عبادة الأصنام

والأحجار. والاستعاذة بالجنّ من الشُّرور والآفات. كلّ هذا وغيره من مظاهر الجاهليّة غيّره الرّسولُ ﷺ في أقلّ من ربع قرن. وأخرج للبشريّة خير أمّة عُرِفَتْ على مدى التّاريخ كلّه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إنَّه التأثير العجيب لكلام الله ـ تعالى ـ الَّذي أخرج ذلك الجيل الفريد. وأنشأ من تلك القبائل نسيجًا غير مسبوق في التأريخ كلّه. ذلك هو القرآن العظيم الَّذي نزل من الله ﷻ ليعيد بناء البشريّة من جديد ـ بعد تمزّق في أودية الضّلالات وركام الجاهليّات ـ على هدي الوحي الربّانيّ ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزُّخرف: ٤].

إنَّه الكتاب الَّذي أزال عن الفطرة الَّتي فطر الله الخلق عليها كلّ شوائب الشِّرك والبدع ولوثاتها. فأضاءت وأشرقت تلك الفطر في نفوس أهل الإسلام في أوَّل أمره. مع صدق في الإيمان. وجديّة في التلقّي والاستمداد من الكتاب والسُّنَّة أعظم مصادر التّلقّي والاستمداد ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٠] (١٢٥).

فقامت دولة الإسلام على أرض الحجاز وعاصمتها "المدينة النّبويَّة" بعد جهاد صادق في سبيل **الله**. جهاد بالقرآن والحجّة والبرهان في العهد المكيّ. وجهاد بالسّيف والسِّنان والقرآن في العهد المدني. كلّ هذا لتكون كلمة الله هي العليا. وكان الصّحابة يتلُون القرآن ويجدون فيه الحثّ على الجهاد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصَّفّ: ١٠ ـ ١١]. ويتلون قوله سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التَّوبة: ٢٩].

فبفضل الله ـ تبارك وتعالى ـ وكتابه الهادي. وبفضل النَّبيّ الأُميّ ﷺ. وجهاد الصَّحابة ﭫ معه دانت العرب قاطبة. ودخلت في دين الله أفواجًا. فصارت جزيرة العرب كلّها تدين بدين الإسلام إلى عهد الشَّيخين. ثمَّ هزّت جحافل المجاهدين مشرق الأرض ـ العراق ـ ومغربها ـ الشَّام ـ. وأفل نجم الفُرْس والرُّوم ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

ويوم أن دخل النَّاس في دين الله أفواجًا. وأتمّ الله على الأمّة النِّعمة باكتمال الدِّين. ورسوخ أهله فيه. اختار النَّبيُّ ﷺ الرّفيق الأعلى. والأمّة حينها في ألفة واجتماع للكلمة. وصدق في التوجّه. وسلامة في المنهج والمقصد. لم تظهر البدع والمحدثات. ولا الفرقة والشتات. ثمَّ حصل ما دوّنته كُتب الحديث والسِّير من خلاف حول الخليفة من بعده ﷺ. وكان اجتماع السقيفة ـ سقيفة بني ساعدة ـ من دور الأنصار. اجتمعوا والتفوّا حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة (١٢٦).

غير أنَّ المهاجرين بلغهم الاجتماع. فذهب نفرٌ منهم إلى إخوانهم الأنصار. ودار حديث ونقاش لم يكن طويلاً. حتَّى اجتمعت كلمتهم ـ المهاجرين والأنصار ـ على أبي بكر الصدّيق. وممَّن تكلّم يوم السّقيفة من الأنصار كاتب الوحي زيد بن ثابت من الخزرج. فقال: "إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ. وَإِنَّمَا الإِمَامُ يَكُونُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ. وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا مِنْ حَيٍّ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ. وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ. ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَوْ فَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا صَالَحْنَاكُمْ " (١٢٧).

وفي تعليق نفيس لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ على تولية الصدّيق والفاروق. واجتماع الكلمة عليهما. يقول: "وتولية أبي بكر وعمر بعد النَّبيّ ﷺ دون عمّه العبَّاس. وبني عمّه عليّ وعقيل وربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب. وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وغيرهم. ودون سائر بني عبد مناف. كعثمان بن عفَّان. وخالد بن سعيد بن العاص. وأبان بن سعيد بن العاص. وغيرهم من بني عبد مناف. الَّذين كانوا أجلّ قريش. وأقرب نسبًا إلى النَّبيّ ﷺ. وأَنَّهُ ليس مَلِكًا؛ حيث لم يُقَدِّمْ في خلافته أحدًا: لا بقرب نسب منه. ولا بشرفِ بيته. بل إنَّما قدَّم بالإيمان والتَّقوى " (١٢٨).

وخلافة الشَّيخين بعد رَسُولِ الله ﷺ من أعظم نعم الله على الأمّة. وقد أتمّ الله بها النِّعمة على محمَّد ﷺ. فلو قُدّر أن تولّى غيرهما. لم يحصل من اجتماع الكلمة. ووحدة الأمّة ما حصل بهما؛ إمَّا لعدم القدرة. وإمَّا لعدم الإرادة (١٢٩).

وكان من أعظم أسباب الوحدة الإسلاميَّة في عهد أبي بكر الصدِّيق ﷺ: رسوخه في العلم. وثباته في المحن والكروب. فما إن توفيّ الرَّسولُ ﷺ إلاَّ وارتدّت قبائل العرب. عدا أهل مكَّة والمدينة والطَّائف (١٣٠). فثبت الصدِّيق ﷺ في ميدان الجدال والمناظرة في أمر المرتدّين. فأثبت لعمر الفاروق ﷺ وسائر الصَّحابة ﷺ أنَّ قتالهم قتال ردّة عن الإسلام (١٣١). وأورد النّصوص الصَّحيحة. وكشف لجميع الأمّة معاني تلك النّصوص. روى البخاريّ بسنده عن أبي هريرة ﷺ أَنَّهُ قال: "لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ. وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ. قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ. كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى

يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ. وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ " (١٣٢).

"قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ. وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا (١٣٣) كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا. قَالَ عُمَرُ: فَوَ اللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ " (١٣٤).

قال ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ في بيان مكانة الصدِّيق العلميَّة: "وقد ذكر غير واحد الإجماع على أنَّ أبا بكر ﷺ أعلم الصَّحابة كلّهم.... فإنَّه لم يكن أحد يقضي ويخطب ويفتي بحضرة النَّبيِّ ﷺ إلاَّ أبا بكر ﷺ:

- فإنَّهم شكُّوا في موت النَّبيِّ ﷺ فبيّنه أبو بكر.
- ثمَّ شكُّوا في مدفنه. فبيّنه.
- ثمَّ شكُّوا في قتال مانعي الزَّكاة. فبيّنه أبو بكر....

ولم يُحفظ لأبي بكر ﷺ فُتيا تخالف نصًّا. وقد وُجد لعمر وعليّ وغيرهما فتاوى تخالف النّصوص.... " (١٣٥).

أمَّا ما كان بين الصدِّيق والفاروق ـ رضي الله عنهما ـ من التَّوافق وعدم الاختلاف في كثير من مسائل العلم. والسِّياسة الشَّرعيَّة. فأمر ظاهر. يقول ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: "بل لا يكاد يُعرف اختلاف أبي بكر وعمر إلاَّ في الشيء اليسير. والغالب أن يكون عن أحدهما روايتان. كالجدّ مع الإخوة. فإنَّ عمر عنه فيه روايتان: إحداهما كقول أبي بكر " (١٣٦).

وقد أنجز أبو بكر الصدِّيق ﷺ مشروعًا علميًّا كان سببًا لاجتماع الكلمة ووحدة الصفّ. ونبذ الفرقة والاختلاف؛ إنَّه جمع القرآن. وذلك عندما استحرّ القتل يوم اليمامة ـ أثناء قتال المرتدّين ـ بقرّاء القرآن. فتقدّم عمر ﷺ بفكرة الجمع لأبي بكر ﷺ. فاقتنع. ودعا زيد بن ثابت الأنصاريّ ﷺ. فعرضا عليه المشروع. وخلصوا جميعًا إلى البدء في العمل. وانطلق زيد في العمل. وكان شاقًّا عليه. فتتبّع القرآن يجمعه من صدور الرِّجال وما كتب عليه آنذاك (١٣٧). وتم جمع القرآن. وتمييزه عن غيره من الكلام. وهذا الَّذي صنعه أبو بكر ﷺ من قتال المرتدّين. وجمع القرآن. يدلّ على علم راسخ. وتفكير عميق. ورؤية مستقبليّة من الشَّيخين ـ رضي الله عنهما ـ. فجمع الأمّة على الهدى ودين الحقّ من أعظم أسباب الثَّبات. وظهور الحقّ وإزهاق الباطل. وهذا دور العلماء الربانيين الَّذين "ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين. وانتحال المبطلين. وتأويل

الجاهلين. الَّذين عقدوا ألوية البدعة. وأطلقوا عقال الفتنة. فهم مختلفون في الكتاب. مخالفون للكتاب. يجمعون على مفارقة الكتاب. يقولون على الله. وفي كتاب الله بغير علم. يتكلّمون بالمتشابه من الكلام. ويخدعون جهّال النَّاس بما يشبّهون عليهم. فنعوذ بالله من فتن المضلّين " (١٣٨).

وثبتت الأمّة على طريق الحقّ. ونهج النُّبوَّة. فكان النَّاس يعيشون في ظلّ الخلافة الرَّاشدة. القائمة على توحيد الله وإفراده بالعبادة والقصد في جميع مناحي الحياة. شعارها العدل وعمارة الأرض؛ بمقتضى المنهج الربّانيّ. يوضّح هذا النهج أبو بكر ﷺ في خطبته بعد مبايعته حين قال: "إِنِّي وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ. فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي. وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي... الضَّعِيْفُ فِيْكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُزِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ والقَوِيُّ فِيْكُمْ ضَعِيْفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الحَقَّ مِنْهُ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ. لاَ يَدَعُ قَومٌ الجِهَادَ فِي سَبِيْلِ اللهِ إِلاَّ ضَرَبَهُمُ اللهُ بِالذُّلِّ. وَلاَ تَشِيْعُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلاَّ عَمَّهُمُ اللهُ بالبَلاَءِ. أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ. فَإِنْ عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلاَ طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ" (١٣٩).

ويوم كانت جيوش المسلمين تسيح في شرق جزيرة العرب وشمالها؛ جاءت المنيّةُ خليفةَ المسلمين الأَوَّل. والصدّيق الأكبر. والمسلمون مقبلون على لقاء الرُّوم في اليرموك. ووصل الكتاب بموت الصدّيق ﷺ لخالد بن الوليد ﷺ وهم مصافوا العدوّ في ساحة المعركة. فأخفاه خالد ﷺ؛ لدفع الوهن عن النَّاس (١٤٠).

واتَّفق المسلمون على بيعة الفاروق ﷺ؛ إثر وصيّة من أبي بكر الصدّيق ﷺ بعد أن استشار أهل الحلّ والعقد من كبار الصَّحابة بالمدينة. يقول ابن كثير الدّمشقيّ ـ رحمه الله ـ: "وكان عمر بن الخطَّاب يصلّي عنه فيها بالمسلمين. وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطَّاب. وكان الَّذي كتب العهد عثمان بن عفّان. وقرئ على المسلمين. فأقرُّوا به. وسمعوا له وأطاعوا. فكانت خلافة الصدّيق سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيّام. وقيل: عشرون يومًا... وقد جمع الله بينهما في التُّربة. كما جمع بينهما في الحياة. فرضي الله عنه وأرضاه " (١٤١).

وفي خلافة عمر بن الخطَّاب ﷺ ظهر من كمال الدِّين. وقوّة اليقين. وظهور أهل الإسلام على أهل الملل والأوثان. بفضل اجتماع الكلمة على المنهج النَّبويّ. والعهد الصدّيقيّ. ما كان ظاهرًا للعيان ظهور الشَّمس في نحر الظَّهيرة. يقول ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: "ثمَّ وَلِيَ عليهم عمر بن الخطَّاب. ففتح الأمصار. وقهر الكفَّار. وأعزّ أهل الإيمان. وأذلّ أهل النِّفاق والعدوان. ونشر الإسلام والدِّين. وبسط العدل في العالمين. ووضع ديوان الخراج والعطاء لأهل الدِّين. ومصَّرَ الأمصار للمسلمين. وخرج منها أزهد ممَّا دخل فيها. لم يتلوّث لهم بمال. ولا ولَّى أحدًا من أقاربه ولاية. فهذا أمر يعرفه كلّ أحد " (١٤٢).

ومن خلال النَّصّ السَّابق لابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ يظهر أنَّ عمر بن الخطَّاب ﵁ أتمّ الفتوح الَّتي شرع فيها أبو بكر ﵁. واتّجه نحو بيت المقدس. وتمّ فتحها بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجرّاح ﵁. وهذا الاتّساع في الفتوحات الإِسلاميَّة. كان رافدًا اقتصاديًّا مهمًّا. فكثر الخراج من بلاد المسلمين. ودُفعت الجزية من أهل الكتاب؛ اليهود والنَّصارى. ومن لهم شُبهة كتاب كالمجوس. فكانت السِّياسة العمرية في بيت مال المسلمين على منهاج من سلف في عهد النُّبوَّة. وعهد الصدِّيق ﵁. يقسم بين المسلمين غنائمهم. ويُعطي (١٤٣) الجُند حقوقهم. وسائر الرعيّة جعل لهم ديوانًا خاصًّا سمَّاه "ديوان العطاء " (١٤٤). الَّذي حقّق للمجتمع المسلم آنذاك الأمن الاجتماعيّ. ورغد العيش. والاستقرار السِّياسيّ. بفضل الله أوَّلاً. ثمَّ بفضل السِّياسة العمريّة. فكان مذهبه "التَّفضيل في العطاء بالفضل. فيعطي أزواج النَّبيّ ﷺ أعظم ممَّا يُعطي غيرهنّ من النِّساء. كما كان يُعطي بني هاشم من آل أبي طالب وآل العبَّاس أكثر ممَّا يعطي أعدادهم من سائر القبائل " (١٤٥).

وكان استحقاق العطاء للرّعيّة في سياسة عمر وفق المعطيات التَّالية:

الأَوَّل: قرابته واتّصاله بالرَّسولِ ﷺ.

الثَّاني: سابقته في الإسلام.

الثَّالث: بلاء الرَّجل في البذل للدِّين.

الرَّابع: الرَّجل وحاجته (١٤٦).

"فما كان يُعطي من يتّهم على إعطائه. بمحاباة في صداقة أو قرابة. بل كان ينقص ابنه وابنته ونحوهما عن نظرائهم في العطاء. وإنما كان يفضّل بالأنساب الدِّينيَّة المحضة. ويفضِّل أهل بيت النَّبيِّ ﷺ على جميع البيوتات ويقدّمهم.

وهذه السِّيرة لم يسرها بعده مثله. لا عثمان ولا عليّ ولا غيرهما " (١٤٧) رضي الله عن الجميع وأرضاهم.

وتغيّر اجتهاد عمر ﵁ في آخر حياته. بعد أن حقّقت سياسة العطاء وفق السَّابقة والبلاء. والقرب من الرَّسولِ ﷺ مقاصدها الدِّينيَّة الشَّرعيَّة. وأثمرت وحدة الصفّ. واجتماع كلمة المسلمين. وجهاد الكافرين. ونصرة المظلومين. فأراد عمر أن يفرض العطاء لجميع المسلمين بالسويّة في أواخر خلافته. فيرفع الأدنى في العطاء بالأعلى. فقال: "لَئِنْ بَقِيْتُ إِلَى قَابِلٍ. لأُلْحِقَنَّ أُخْرَى النَّاسِ بِأُولاَهُمْ. وَلأَجْعَلَنَّهُمْ بَيَانًا وَاحِدًا " (١٤٨). يعني: سواء في العطاء.

هذا العطاء المنظّم. والتّقديم للأفضل والأسبق في الإسلام. يدلّ على عدل عمر ﷺ وزهده في المال. وعلمه بأنّ إدارة اقتصاد الدّولة بِحَيْفٍ وجور من أعظم أسباب إلقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين. وقد بكى عمر ﷺ عندما رأى كثرة الأموال الّتي بُعِثَ بها من الأمصار إلى بيت المال. إثر فتوح بلاد فارس. فذكَّرَه عبد الرّحمن بن عوف ﷺ بأنّ هذا يومُ شكر لله. وفرح وسرور بنصره. فقال عمر الملهم ﷺ: "وَيْحَكَ. إِنَّ هَذَا لَمْ يُعْطَهُ قَوْمٌ قَطُّ إِلاَّ أُلْقِيَتْ بَيْنَهُمُ العَدَاوَةُ والبَغْضَاءُ " (١٤٩).

يقول ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ مقرِّرًا هذا السِّياق في سياسة الفاروق الماليَّة. وخوفه وبكائه على نفسه وأصحابه ورعيّته. من كثرة المال. قال: "والمقصود: أنَّ بني عبد مناف كانوا متّفقين في أوَّل الأمر على عهد النَّبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر. وإنما وقعت الفرقة بعد ذلك. لما تفرّقوا في الإمارة.

كما أنَّ بني هاشم كانوا متّفقين في عهد الخلفاء الأربعة. وعهد بني أميّة. وإنما حصلت الفرقة لما وليَ بنو العبَّاس. وصار بينهم وبين بعض بني أبي طالب فرقة واختلاف. وهكذا عادة النَّاس. يكون القوم متّفقين إذا لم يكن بينهم ما يتنازعون عليه. من جاه أو مال أو غير ذلك. وإن كان لهم خصم كانوا إِلْبًا واحدًا عليه. فإذا صار الأمر إليهم تنازعوا واختلفوا " (١٥٠).

فكانت هذه السِّياسة الرَّاشدة في إقامة الجهاد والشَّرع. وحفظ البيضة. ونشر الإسلام. وبذل العطاء الماليّ لكلّ الرّعيّة من أعظم أسباب اجتماع الكلمة. وتآلف القلوب. ونبذ الفرقة والاختلاف.

المطلب الثَّاني: سلامة عهدهما من الفتن الدَّاخليّة:

الفتنة والابتلاء سنّة ربّانيّة. يمحّص الله بهما أهل الإيمان. أتباع الأنبياء الّذين قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]. فلم تكن دعوى الإيمان واعتناق الإسلام أمرًا هيّنًا. فاقتضت حكمة العليم الحكيم أن يمحّص المؤمنين. كما قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]. وجاء الخطاب القرآنيّ موجّهًا للنّبيّ ﷺ ومحذّرًا له ولأمّته من الصدّ عن سبيل الله وشريعته ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩]. فكيف لو كان الصدّ عن كلّ ما أنزل الله. فالأمر أشدّ وأنكى.

وشرع الله الجهاد في سبيله لغاية محمودة. وهي انتفاء الفتنة الّتي هي الشّرك. فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وحذَّر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين. وحزبه المفلحين من الوقوع في النِّفاق والمعاصي والكبائر. وكلّ ما يغضب الله ويسخطه. فقال في بيان شأن المنافقين وأعمالهم: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

وشدَّد الكتاب العزيز في التَّحذير من دعاة التَّشكيك والتَّلبيس الَّذين يتّبعون المتشابه من القرآن. ويتركون المحكم؛ ابتغاء فتنة المؤمنين وصدّهم عن الإيمان. وإظهار الحقّ في صورة الباطل. والباطل في صورة الحقّ. ورمي أتباع الأنبياء بالفواقر. فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

وحرَّم الله تبارك وتعالى على الأمّة الشِّرك والكفر. والنِّفاق والمعاصي. واتّباع المتشابه وترك المحكم. وحذّر من لبس الحقّ بالباطل. وأنذر الَّذين يخالفون الوحي وما جاء به من المحكمات. فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٦٣].

فرسالة الإسلام اشتملت على مصالح الخلق الدِّينيَّة الشَّرعيَّة والدّنيويّة. بما لا مثيل له في الرِّسالات السَّابقة. وأحدثت من الأثر الكبير على البشريّة مالم تحدثه نبوّة أحد من الأنبياء. فقد بعث الله محمَّدًا ﷺ "على حين فترة من الرُّسل. وظهور الكفر. وانطماس السُّبل. فأحيا به ما درس من معالم الإيمان. وقمع به أهل الشِّرك من عبّاد الأوثان والنيران والصُّلبان. وأذلّ به كفَّار أهل الكتاب أهل الشِّرك والارتياب. وأقام به منار دينه الَّذي ارتضاه. وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه. وأظهر به ما كان مخفيًّا عند أهل الكتاب. وأبان به ما عَدَلُوا فيه عن منهج الصَّواب. وحقّق به صدق التَّوراة والزّبور والإنجيل. وأماط به عنها ما ليس بحقّها من باطل التَّحريف والتَّبديل " (١٥١).

وهنا لم تكن سنّة الله في معزل عن الأحداث. فمع هذا الخير والنُّبوّة والبعثة المحمّديّة ظهر المكذِّبون المعاندون. ووقع الصِّراع بين الحقّ والباطل. ونزلت سنّة المدافعة. وكانت العاقبة للتّقوى. فانتصر الإيمان. وكان لانتصاره أسباب:

أوَّلاً: ظهور المعارضين للحقّ من أهل الإفك المبين.

ثانيًا: معارضة أتباع الحقّ بدعاويهم الكاذبة.

ثالثًا: التَّحذير من متابعة بدع اليهود والنّصارى (١٥٢).

وسلِمَ جيل القدوة وعصر النُّبوَّة وصدر عصر الرَّاشدين من الفتن الدَّاخليَّة. والحروب الأهليَّة في صفوف المسلمين. وذلك بفضل الله ـ تبارك وتعالى ـ ونعمة القرآن الَّذي بنى جيلاً فريدًا. وأمّة كاملة. وقاها الله ﷻ الفرقة

والاختلاف. كيف لا يحدث هذا والصّحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ يسمعون ويتلون آيات الكتاب في التّحذير من التفرّق والاختلاف. مع صدق إيمانهم. وكمال تسليمهم وانقيادهم لما جاء به الرّسولُ ﷺ من الوحي والهدى ودين الحقّ. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الرّوم: ٣٠ ـ ٣٢]. وأخبر سبحانه أنَّ أهل الكتاب آتاهم الله الوحي ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦] فوقعوا في التّفرّق والاختلاف ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة:٤]. وخاطب الله الرُّسل جميعًا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١ ـ ٥٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: "فظهر أنَّ سبب الاجتماع والألفة: جمع الدِّين. والعمل به كلّه. وهو عبادة الله وحده لا شريك له. كما أمر به باطنًا وظاهرًا.

وسبب الفرقة: ترك حظّ ممَّا أُمر العبد به. والبغي بينهم.

ونتيجة الجماعة: رحمة الله ورضوانه. وصلواته. وسعادة الدّنيا والآخرة. وبياض الوجوه.

ونتيجة الفرقة: عذاب الله. ولعنته. وسواد الوجوه. وبراءة الرَّسولِ ﷺ منهم " (١٥٣).

ومنذ أن مكّن الله للمسلمين دينهم على يد الرَّسولِ ﷺ. وتحقّق لهم قيام كيان الدَّولة الإسلاميَّة بعد الهجرة. برز في الصفّ الإسلامي طائفة؛ دخلت في الإسلام ظاهرًا. ونالت عصمة الدم والمال. ولكنّها عملت في الخفاء تارة. والعلانية تارة على المكر والكيد. وقد وصفهم الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ بقوله:

"فلله كم معقل للإسلام هدموه؟!

وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخرّبوه؟!

وكم من عَلَمٍ له قد طمسوه؟!

وكم من لِوَاءٍ له مرفوعٍ قد وضعوه؟!

وكم ضربوا بمعاول الشُّبه في أصول غِرَاسِه ليقلعوها؟!

وكم عَمَّوا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟!

فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبليّة. ولا يزال يطرقه من شبههم سَرِيَّةٌ بعد سريّة. ويزعمون أَنَّهم بذلك مصلحون ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٢]. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصَّفَ: ٨]... دَرَستْ معالم الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها. ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها. وأفلت كواكبه النيّرة من قلوبهم فليسوا يحيونها. وكسفت شمسه عند اجتماع ظُلم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها.

لم يقبلوا هدى الله الَّذي أرسل به رسوله. ولم يرفعوا به رأسًا. ولم يروا بالإعراض عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأسًا... " (١٥٤).

هؤلاء الَّذين وصفهم ابن القيِّم بهذه الصِّفات القذرة. برزوا في العهد المدني. وحاولوا تقويض بنيان الإسلام. وهدم معالمه ومراكزه ورموزه. بأصناف من المكر والخديعة. ولبس الحقّ بالباطل. فكان من وسائلهم حرب الإسلام بالدّعاء إليه ظاهرًا. وزعم نصرته وذلك ببناء مسجد الضِّرار. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٠٧ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٩ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التّوبة: ١٠٧ ـ ١١٠]

وحاربوا الإسلام والمجتمع المدنيّ المسلم الطّاهر النقيّ في أعظم رمز؛ هو شخص النَّبيِّ ﷺ وزوجته عائشة الصدّيقة بنت الصدّيق ـ رضي الله عنها وعن أبيها ـ ورموا تلك الطَّاهرة البريئة بصفوان بن المعطّل السُّلميّ ﷺ (١٥٥). وتولّى كبر حادثة الإفك رأس المنافقين عبد الله بن أُبيّ بن سلول. عليه من الله ما يستحقّ. إلاَّ أنَّ العناية الربّانيّة. والسّياسة النَّبويَّة. وبناء المجتمع الإسلامي الرَّصين. حال دون أهداف المغرضين. الَّذين أرادوا صدّ النَّاس عن الدّعوة وعن الرّسولِ ﷺ. وإحداث الفرقة والاختلاف. والقضاء على الوحدة واجتماع الكلمة.

فردَّ الله كيدهم في نحورهم. وسهامهم إلى صدورهم. وأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ لبراءة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عشر آيات في أوّل سورة النُّور. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: ١١ ـ ٢٠].

وممَّن شارك المنافقين في محاولة فصم عرى الأخوّة الإيمانيّة وتشتيت الوحدة الإِسلاميَّة. وتفريق الكلمة في صدر الإسلام؛ شياطين المنافقين الَّذين وصفهم الله ـ تبارك وتعالى ـ في سورة البقرة في حديثه عن المنافقين. فقال: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]. وشياطين هؤلاء "سادتهم وكبراؤهم ورؤساؤهم من أحبار اليهود. ورؤس المشركين والمنافقين " (١٥٦).

ففي سيرة ابن هشام: أنَّ رجلاً يهوديًّا قد شاخ وكبرت سنّه. وكان عظيم الكفر. شديد العداوة والطَّعن على المسلمين. مَرَّ على نفر من أصحاب رَسُولِ الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه. فغاظه ما رأى من ألفة واجتماع للكلمة. وصلاح ذات بينهم على الإسلام. بعد الَّذي كان بينهم من التفرّق والاختلاف في الجاهليَّة. فأرسل فتًى شابًّا معه من يهود. فعمد إليهم ذلك الشَّابّ. فَذَكَّرَ القوم بيوم بعاث (١٥٧). وأنشدهم بعض أشعار قيلت فيه. فتنازع القوم وتفاخروا. وثارت ثائرة الفتنة. وتواعد الحيّان ظاهرة الحرّة. وحملوا السِّلاح. وتمايز الأوس عن الخزرج على دعواهم الَّتي كانوا عليها في الجاهليَّة.

فبلغ هذا الحادث رَسُولَ الله ﷺ. فخرج إليهم. فذكّرهم بنعمة الإسلام. وما أكرمهم الله به من الأخوّة في الدِّين. وما أنقذهم به من الكفر والجاهليّة. فرجع الأنصار إلى الحقّ. وندموا. وبكوا. وتعانقوا. فأنزل الله

حينها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾. إلى قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٥] (١٥٨).

وفي عهد الصدّيق ﷺ وخلافته كانت الأمّة مجتمعة. والكلمة سواء. لم يحدث الافتراق بعد. إلاّ أنّ ارتداد عامّة قبائل جزيرة العرب (١٥٩) عدا الحجاز. كان حدثاً ضخمًا. ونازلة كبيرة. وصفتها أمّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ بقولها: "لَمَّا قُبِضَ رسُولُ اللهِ ﷺ ارتدّت العرب قاطبة. وأشربت النِّفاق. واللهِ لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الرّاسيات لهاضها. وصار أصحاب محمَّد ﷺ كأنَّهم معزى مطيرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة. فوالله ما اختلفوا في نقطة إلاَّ طار أبي بحظّها وغنائها وفصلها ". ثمَّ ذكرت عمر فقالت: "من رأى عمر علم أنَّهُ خُلق غِنًى للإسلام. كان واللهِ نسيج وحده. وقد أعدّ للأمور أقرانها " (١٦٠).

وثبّت الله أبا بكر الصدّيق وعمر الفاروق. ومن معهما من السَّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار. وسائر الصَّحابة ﷺ على الإسلام. وفي هذا الباب تنقل كتب التأريخ والسِّير والتَّراجم قول الصدّيق ﷺ: "والذي لا إله غيره. لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رَسُولِ الله ﷺ ما رددتُ جيشًا وجّهه رَسُولُ الله ﷺ... " (١٦١).

فكان لقوّة المجتمع المدني. والنشأة الجديدة للأمّة. واجتماع الكلمة الدّور الأكبر في إخماد حركة الردّة. حتَّى عادت الجزيرة العربيَّة بقبائلها إلى حياض الإسلام والسُّنَّة. وتقاطرت وفود العرب صوب المدينة النَّبويَّة. وفيهم الشُّعراء والخطباء. وممَّا قيل في تلك الفترة لأبي بكر الصدّيق ﷺ: (١٦٢)

أَخليفـةَ الرَّحمنِ إنَّا مَعْشَــرٌ	حُنفـاءُ نسـجـدُ بكرة وأصـيلا
عـربٌ نـرى لله في أَمـوالِـنـا	حـقَّ الـزَّكـاةِ مُـنَـزَّلاً تَـنـزيـلا
قـومٌ عـلـى الإسـلامِ لَـمَّـا يمـنـعوا	مـاعـونهم ويضـيّعـوا التَّهـليـلا

ويُرجع المؤرِّخون حركة الرِّدّة في خلافة الصدّيق ﷺ إلى عوامل كثيرة:

منها: تأخّر إسلام تلك القبائل. وعدم تمكّن الإيمان في قلوبهم.

ومنها: قصر الزّمن الَّذي تمّ فيه تبليغ الدّعوة لتلك القبائل.

ومنها: طبيعة الأعراب. وما تحمل نفوسهم من الجفاء والقرب إلى الكفر والنِّفاق.

ومنها: ضعف فهمهم وإدراكهم لتشريع الإسلام في الزَّكاة. وسائر العبادات والفرائض.

ومنها: عامل العصبيّة القبليّة. والاعتداد بها. الَّتي لا زالت هي المسيطرة على تلك القبائل والنّواحي من جزيرة العرب.

ومنها: ظهور عدد من المتنبّئين الكاذبين المفترين (١٦٣).

ونهضت الأمّة من كبوة الردّة. وحركة المرتدّين. وعادت إلى القوّة والمنعة. وتسلّم قيادة الدَّولة. ودفّة الحكم فاروق الإسلام. الملهم المحدّث الَّذي ما سلك فجًّا ولا طريقًا إلاَّ سلك الشَّيطان طريقًا وفجًّا آخر. عمر الَّذي قال ذات مرّة في حوار بينه وبين عبد الله بن عبّاس ﭬ: "إنَّه واللهِ يا ابن عبّاس ما يصلح لهذا الأمر إلاَّ القويّ في غير عنف. الليّن في غير ضعف. الجواد في غير سرف. الممسك من غير بخل. فقال ابن عبّاس: واللهِ ما أعرفه غير عمر " (١٦٤).

فالسِّيرة الصدّيقيّة والعمريّة الَّتي كانت أشرف السِّير بعد النَّبيّ ﷺ أثمرت الوحدة الإِسلاميَّة. واجتماع الكلمة "فلهذا كانا أبعد عن الملام. وأولى بالثناء العام. حتَّى لم يقع في زمنهما شيء من الفتن؛ فلم يكن للخوارج في زمنهما لا قول مأثور. ولا سيف مشهور. بل كلّ سيوف المسلمين مسلولة على الكفَّار. وأهل الإيمان في إقبال. وأهل الكفر في إدبار " (١٦٥).

وكان أئمَّة الفقهاء من التَّابعين ــ رحمهم الله ــ يدركون هذا الفضل للشَّيخين. وما حصل في عهدهما من اجتماع الكلمة. وسلامة المجتمع من التّفرّق والاختلاف. فهذا عَبيدة السلمانيّ (١٦٦) من أصحاب عليّ بالكوفة يقول لعليّ ﭬ: "رأيك مع عمر في الجماعة أحبّ إلينا من رأيك وحدك في الفرقة " (١٦٧).

ولا شكّ أنَّ التفرّق والاختلاف خروج عن محكم من محكمات دين الإسلام. وعن قاعدة عظيمة من قواعد الشَّريعة؛ فاجتماع الكلمة. وتآلف القلوب. وصلاح ذات البين تضافرت النُّصوص القرآنيّة على تقريره. والنّهي عن ضدّه. فكان معلمًا بارزًا من معالم عصر الشَّيخين ـ رضي الله عنهما وأرضاهما ـ؛ ليكون نبراسًا لأمّة الإسلام على مَرِّ العصور والأزمان.

الخاتمة، وفيها أهمّ النتائج:

وبعد الانتهاء من هذا البحث "بواعث تفضيل الشَّيخين " أُسجِّل أهمّ النتائج على سبيل الاختصار. وهي:

١ ـ من المعلوم بالضَّرورة من دين الإسلام؛ عدالة الصَّحابة وفضلهم ومكانتهم العالية عند الله ـ تبارك وتعالى ـ وعند رسوله ﷺ. فلم يكن أتباع الأنبياء السَّابقين ـ عليهم السَّلام ـ مثلهم. وقد دلّ على هذا الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمّة.

٢ ـ أنَّ من أعظم أسباب تفضيل الشَّيخين أبي بكر وعمر. باعث المحبَّة لهما من رَسُولِ الله ﷺ. فهما

بالمكان الرّفيع عنده. وفي هذا قال الخليفة الرّابع عليّ بن أبي طالب ﷺ: "خَيرُ هَذهِ الأمّةِ بعد نبيّها ﷺ أبو بكر وعمر". رواه المصنِّفون عن علي ﷺ من نحو ثمانين وجهًا.

٣ ـ نعمة الله ـ تبارك وتعالى ـ على نبيّه ﷺ بأن هدى له أفضل الأمّة. فكانا له كالوزيرين؛ يساعدانه في نشر الدّعوة. وتبليغ الإسلام. وبناء الدَّولة.

٤ ـ كان الشَّيخان في غالب أحوالهما معه ﷺ؛ في حضره وسفره. حربه وسلمه. يشاورهما في أمور الأمّة العامّة. والأمور الخاصّة.

٥ ـ أعظم الصَّحابة نفعًا للنَّبيّ ﷺ الشَّيخين. فما أنفق أبو بكر وعمر من مال قبل الفتح وبعده إلاَّ وهما يبتغيان وجه الله ـ تبارك وتعالى ـ. وبخاصّة أبو بكر. فقد بذل ماله كلّه ذات مرّة. وجاء الفاروق بنصف ماله.

٦ ـ أنَّ إنفاق أبي بكر وعمر وغيرهما من الصَّحابة لم يكن لإطعام النَّبيّ ﷺ وأهل بيوتاته. بل كان عونًا على الدِّين والدَّعوة في سبيل الله تعالى.

٧ ـ ثناء الله تبارك وتعالى على الصدّيق في سورة اللَّيل بقوله سبحانه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [اللّيل: ١٧ ـ ٢١].

٨ ـ أنَّ من أعظم ثمار ونتائج تفضيل الشَّيخين ومنزلتهما في الدين وسياستهما للرعيّة أمران:

أحدهما: اجتماع كلمة المسلمين على الشَّيخين مدّة خلافة الصدّيق والفاروق وشطرًا من خلافة عثمان. بسبب إقامة الدِّين كلّه. وتثبيت دعائم العدل الربّانيّ.

الثَّاني: سلامة عهد الصدّيق والفاروق من الفتن الدَّاخليّة والتفرّق والاختلاف. فلم يكن للخوارج في زمنهما لا قول مأثور. ولا سيف مشهور. ولا ثارت الغوغاء. ورعاع النَّاس في عهدهما بفضل الله أوّلاً. ثمَّ بفضل العدل الَّذي ساد الدَّولة الإسلاميَّة.

هوامش البحث:

---

(١) زاد المعاد (١ /٣٩) لابن القيّم.

(٢) انظر: زاد المعاد (١ /٤٢ ـ ٤٥)، وحادي الأرواح (ص ١٠٦)، وشفاء العليل (ص ٢١).

(٣) جامع الرّسائل (١ /١٣٧).

(٤) كتاب فضائل الصّحابة، باب فضل أبي بكر ﷺ...، برقم ٣٦٥٥) (فتح ٧ /٢٠).

(٥) كتاب السُّنَّة، باب في التَّفضيل (برقم ٤٦٢٧) (٥ /٢٦)، وصحّحه العلاّمة الألباني في صحيح سنن أبي داود (برقم ٣٨٧٠) (٣ /٨٧٦).

(٦) انظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /١٢١) لابن تَيْمِيَّة.

(٧) انظر: المصدر نفسه (٦ /١٣٧).

(٨) انظر: المصدر نفسه (٦ /٣٧٩).

(٩) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ /٥٠٥) برقم (٣٦٠٠)، وقال الهيثميّ: "رواه أحمد والبزّار والطبرانيّ في الكبير، ورجاله موثّقون. مجمع الزّوائد (١ /١٧٧ ـ ١٧٨).

وحسّنه العلاّمة الألباني موقوفًا، وقال: "واشتهر على الألسنة مرفوعًا، وفي سنده كذَّاب، والصَّحيح وقفه" شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٠). وانظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١ /٧٧ ـ ٧٨)، والجواب الصَّحيح (٦ /٤٩٢) لابن تَيْمِيَّة.

(١٠) أورده المقدسي في (ذمّ التأويل) (ص ٣٢).

وانظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١ /٧٧)، مجموع الفتاوى (٤ /١٣٧، ١٥٨) (٢٤ /٣٢١) (٥ /٩٦) و (٧ /٢٨٧) لابن تَيْمِيَّة، والصَّواعق المرسلة (٣ /١١١٨) لابن القيِّم.

(١١) المصدر نفسه (١ /٧٩).

(١٢) كتاب الشَّريعة (٤ /١٦٣٧ ـ ١٦٣٨).

(١٣) منهاج السُّنَّة (٢ /١٩) لابن تَيْمِيَّة، وعزاه لابن بطّة. وقال المحقّق: "لم أجد الأثرين السَّابقين في الإبانة لابن بطّة..."، وأثر سعد ﵁ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ /٥٢٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذَّهبيّ.

(١٤) كتاب فضائل أصحاب النَّبيّ ﷺ، باب فضائل أصحاب النَّبيّ ﷺ، برقم (٣٦٥٠) (فتح ٧ /٥)، ومسلم كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضل الصَّحابة، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم، برقم (٢٥٣٥) (نووي ١٦ /٣٢١)، وهذا الحديث عدّه شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ من المتواتر. انظر: منهاج السُّنَّة (٢ /٣٥)، ومجموع الفتاوى (٢٠ /٢٩٥ ـ ٣٠٠).

(١٥) كتاب فضائل الصَّحابة، باب بيان أنَّ بقاء النَّبيّ ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان لأمّته، برقم (٢٥٣١) (نووي ١٦ /٣١٦ ـ ٣١٧)، والإمام أحمد في المسند، برقم (١٩٨٥) (٤ /٤٨٧).

(١٦) شرح صحيح مسلم (١٦ /٣١٦ ـ ٣١٧).

(١٧) كتاب فضائل أصحاب النَّبيّ ﷺ، باب فضائل أصحاب النَّبيّ ﷺ، برقم (٣٦٤٩) (فتح ٧ /٥)، ومسلم كتاب فضائل الصَّحابة، برقم (٢٥٣٢) (نووي ١٦ /٣١٧).

(١٨) شرح صحيح مسلم (١٦ /٣١٧).

(١٩) فتح الباري (٦ /٨٩)، وانظر وقارن: الصَّحيح المسند من فضائل الصَّحابة (ص ٢٠) للشّيخ مصطفى العدوي.

(٢٠) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤ /٤٤٣)، والحاكم في المستدرك (٤ /٩١) وصحّحه ووافقه الذَّهبيّ في التَّلخيص، والآجري في الشَّريعة، برقم (١١١٥) (٤ /١٦٤٠). وقال شيخنا المحقّق: إسناده حسن.

(٢١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ /٢٢٧ ـ ٢٢٨) برقم (٦٥٧٨)، والحاكم في المستدرك (٢ /٨١) برقم (٢٣٩٣) وصحّحه ووافقه الذَّهَبِيّ في التَّلخيص، والآجريّ ـ واللَّفظ له ـ في الشَّريعة (٤ /١٦٤٢ ـ ١٦٤٣) برقم (١١١٩)، وقال شيخنا المحقّق: إسناده حسن.

(٢٢) مختصر الفتاوى المصرية (ص ٣١٥ ـ ٣١٦).

(٢٣) كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حبّ الأنصار، برقم (١٧) (فتح ١ /٨٠).

(٢٤) فتح الباري (١ /١٨) لابن حجر، وانظر: منهاج السُّنَّة (٤ /٢٩٧) فما بعدها، فقد ردّ ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ على الرَّافضة في تخصيص عليّ بالحبّ دون غيره من السَّابقين.

(٢٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، برقم (٣٩٨٣) (فتح ٧ /٣٥٥) من رواية عليّ بن أبي طالب، ويُعرف بحديث حاطب.

قال الحافظ ابن حجر: "واتَّفقوا على أنَّ البشارة المذكورة فيما يتعلّق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدّنيا من إقامة الحدود وغيرها، والله أعلم". الفتح (٧ /٣٥٦).

(٢٦) "العقيدة الواسطيّة" ضمن مجموع الفتاوى (٣ /١٥٢ ـ ١٥٣) ومع هذا فأهل السُّنَّة والجماعة لا يدّعون لأحد من الصَّحابة ـ بعد رَسُولِ الله ﷺ ـ العصمة من كبائر الذّنوب وصغائرها. انظر: المصدر نفسه (٣ /١٥٥)، وجامع الرَّسائل (١ /٢٦٦)، والفتاوى الكبرى (٣ /٤٨٧)، ومجموع الفتاوى (٣٥ /١٢٠)، ومنهاج السُّنَّة (٦ /٤٣٤).

(٢٧) التَّقييد والإيضاح شرح مقدّمة ابن الصَّلاح (ص ٣٠١) للعراقي.

(٢٨) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (ص ١٧٦ ـ ١٧٧). أمَّا ما وقع من الصَّحابة بعد الاختلاف والاشتجار بعده عليه السلام "فمنه ما وقع عن غير قصد، كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد، كيوم صفّين، والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ، ومأجور أيضًا، وأمَّا المصيب فله أجران اثنان، وكان عليٌّ وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين". المصدر نفسه (ص ١٧٧).

(٢٩) المصدر نفسه (ص ١٨٠)، وانظر: المقنع في علوم الحديث (٢ /٤٩٧)، ومعجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص ٦٤).

(٣٠) المصدر نفسه (ص ١٨٠)، وانظر: التَّقييد والإيضاح (ص ٣٠٥) للعراقي.

(٣١) نقلاً عن آثار العلاّمة عبد الرَّحمن المعلّمي "مجموع رسائل العقيدة" (٦ /٣١٧)، وسمَّى بعضهم المبهمين (عثمان وطلحة والزُّبير) رضي الله عنهم.

(٣٢) المصدرين السَّابقين نفسهما.

(٣٣) الشَّريعة (٤ /١٦٨٨) للآجريّ.

(٣٤) الحجّة في بيان المحجّة (٢ /٤٠٢)، هذا أبو يُوسف وهو من هو يقول مثل هذا الكلام، فكيف لو رأى أهل زماننا كيف يسلكون مع علمائهم، ومن يأخذون عنهم ويعظّمونهم !؟

(٣٥) مناقب أبي حنيفة (ص ٧٦) للمكيّ.

(٣٦) سير أعلام النبلاء (١٠ /٥٩ . ٦٠)، للذَّهَبِيّ.

(٣٧) المصدر نفسه (١٠ /٢٠)، للذَّهَبِيّ.

(٣٨) المصدر نفسه (٥ /١٣١).

(٣٩) فتح الباري (٧ /٢١) لابن حجر.

(٤٠) فتح الباري (٧ /٤١). وانظر: شرح صحيح مسلم (١٥ /١٥٧). وقال الذَّهَبِيّ مشيرًا إلى الخلاف عند المتقدّمين: "جمهور الأمّة على ترجيح عثمان على الإمام عليّ، وإليه نذهب". السِّير (١٦ /٤٥٨).

(٤١) منهاج السُّنَّة (٨ /٢٢٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣ /١٥٣).

(٤٢) منهاج السُّنَّة (٨ /٧٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢ /٢٢٣).

(٤٣) منهاج السُّنَّة (٨ /٢٢٣ . ٢٢٤).

(٤٤) هذه الرِّسالة وردت برواية تلميذ الإمام أحمد؛ محمَّد بن حبيب الأندراني. انظر: طبقات الحنابلة (١ /٢٩٤ . ٢٩٥) لأبي يعلى.

(٤٥) المصدر نفسه (١ /٢٩٤)، وانظر وقارن: المسائل والرَّسائل المرويّة عن الإمام أحمد في العقيدة (١ /٣٩٦) للأحمدي.

(٤٦) مجموع الفتاوى (٤ /١٥٥) لابن تَيْمِيَّة. وانظر: أصول السُّنَّة (ص ١٤) للإمام أحمد، ومنهاج السُّنَّة (١ /٥٢٩) و (٦ /٨١)، المدخل المفصّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل (١ /١٥٤) للعلاّمة بكر أبو زيد.

(٤٧) انظر: عقيدة السَّلف أصحاب الحديث (ص ١٠٨) فما بعدها، ومجموع الفتاوى (١٣ /٢٤ . ٢٥) لابن تَيْمِيَّة، ومقدّمة كتاب "إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين" (٢ /٥ . ١٠) لابن القيِّم.

(٤٨) روضة المحبِّين (ص ٧٣) لابن القيِّم. وانظر: جامع الرَّسائل (٢ /١٩٥) لابن تَيْمِيَّة.

(٤٩) المصدر نفسه (ص ٧٧). وانظر: التحفة العراقيّة (ص ٣٧٣).

(٥٠) انظر: المصدر نفسه (ص ٨٠)، ومجموع الفتاوى (١ /٧٧) و (٢ /٤١١) و (١٤ /٣٥)، و طريق الهجرتين (ص ٣٠٤).

(٥١) انظر: التحفة العراقيّة (ص ٤٠٨ . ٤٠٩)، ومدارج السَّالكين (٣ /٢٥).

(٥٢) مدارج السَّالكين (٣ /١٩)، وانظر: روضة المحبِّين (ص ٤١١ . ٤٣٥).

(٥٣) المصدر نفسه (٣ /٢٣). انظر: على سبيل المثال كتب الرَّازي والآمدي والجويني، هذا فضلاً عن كُتب الفلاسفة كابن سينا، والفارابي، وابن رشد.

فالمثبتون لصفة المحبَّة منهم يؤلونها: بمحبّة طاعته وعبادته لا محبّة ذاته سبحانه.

انظر: مجموع الفتاوى (٥ /١١) (١٠ /٦٩٧)، والاستقامة (٢ /١٠٠)، ومدارج السَّالكين (٣ /١٨)، والصَّواعق المرسلة (١ /١٦٩). والمقرّر عند السَّلف أَنَّهُ "لا يجوز أن يكون غير الله محبوبًا مرادًا لذاته" التحفة العراقيّة (ص ٤٢٣).

(٥٤) انظر: جامع الرَّسائل (٢ /٢٤٥)، ومجموع الفتاوى (١٠ /٦٩٧)، والاستقامة (٢ /١٠٠ . ١٠١) لابن تَيْمِيَّة، ومدارج السَّالكين (٣ /١٨) لابن القيِّم.

(٥٥) جامع الرَّسائل (٢ /٢٧٥)، وانظر: روضة المحبِّين (ص ٤٤٣) فما بعدها.

(٥٦) انظر: جامع الرَّسائل (٢ /٢٧٧ ـ ٢٧٨)، ومجموع الفتاوى (٣ /٤١٧) (١٠ /٢١)، والتّحفة العراقيَّة (ص ٢٩٠) لابن تَيْمِيَّة، وجامع العلوم والحكم (١ /٣٦١) لابن رجب.

(٥٧) المصدر السَّابق (٢ /٢٨١). فالإنسان خلق الله له قوّتان: ١ ـ قوّة الحبّ. ٢ ـ قوَّة البغض. ومقصود خلقهما؛ أنَّ يحبّ الحقّ الَّذي يحبّه الله ورسوله، ويبغض الباطل الَّذي يبغضه الله ورسوله، فمن حقّق هذا، فهو مِمَّنْ يحبّهم الله ويحبّونه. انظر: المصدر نفسه (٢ /٣٢٢).

(٥٨) جامع الرَّسائل (٢ /٢٨١ ـ ٢٨٤)، وقال ابن القيّم ـ رحمه الله ـ عن مسألة المحبّة: "فلو بطلت مسألة المحبّة لبطلت جميع مقامان الإيمان والإحسان، ولتعطّلت منازل السَّير إلى الله". مدارج السَّالكين (٣ /٢٦).

وعدد السَّابقين من المهاجرين والأنصار ألف وأربعمائة غير مهاجري الحبشة. انظر: مجموع الفتاوى (١٦ /١٩١).

(٥٩) المسند (١ /٤٩٨ ـ ٤٩٩)، والحاكم في المستدرك (٣ /٢٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذَّهَبِيّ، وقال: صحيح. وأورده الهيثمي في المجمع (٦ /٨٦ ـ ٨٧)، وقال: "روى الترمذي منه طرفًا، ووراه أحمد... ورواه أبو يعلى بنحوه، ورواه الطبرانيّ أيضًا، وفيه أبو عبيدة، ولم يسمع من أبيه، ولكن رجاله ثقات".

(٦٠) انظر: خصائص الصَّدّيق وما انفرد به عن سائر الصَّحابة، منهاج السُّنَّة (٨ /٤١٦ ـ ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٧) لابن تَيْمِيَّة.

(٦١) كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، بدون رقم، (فتح ٧ /١٠). وعزا البخاري هذا القول لأبي سعيد وابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ أيضًا.

(٦٢) فتح الباري (٧ /١٤).

(٦٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصَّحابة، باب قول النَّبيّ ﷺ: سدُّوا الأبواب إلاَّ باب أبي بكر، برقم (٣٦٥٤) (فتح ٧ /١٥)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة، باب من فضائل أبي بكر، برقم (٢٣٨٢) (نووي ١٥ /١٥٨ ـ ١٥٩).

(٦٤) منهاج السُّنَّة النبوية (٨ /٤٢٧).

(٦٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٨ /٤٢١ ـ ٤٢٢). وانظر: المصدر نفسه (٧ /٣٦٣)، وفتح الباري (٧ /١٧) لابن حجر، وشرح صحيح مسلم (١٥ /١٦٠ ـ ١٦٢) للنَّوويّ.

(٦٦) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصَّحابة، باب قول النَّبيّ ﷺ: لو كنت متّخذًا خليلاً...، برقم (٣٦٦٨) (فتح ٧ /٢٤).

(٦٧) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٨ /٥٦٥) و (٧ /١٠٧). وأورد ابن عبد البرّ في الاستيعاب (٣ /٢٣٩) عن عمر ﷺ أَنَّهُ قال: "ما سبقتُ أبا بكر إلى خيرٍ قطّ إلاَّ سبقني إليه، ولوددت أنّي شعرة في صدر أبي بكر".

(٦٨) كتاب فضائل الصَّحابة، باب: لو كنت متّخذًا خليلاً...، برقم (٣٦٧١)، (فتح ٧ /٢٤).

(٦٩) انظر: فتح الباري (٧ /٤٠) لابن حجر، ومنهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٥١٢) لابن تَيْمِيَّة.

يقول ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: "وقد روي عن عليّ من نحو ثمانين وجهًا أَنَّهُ قال على منبر الكوفة: خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر وعمر". منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٥١١).

(٧٠) انظر: فتح الباري (٧ /٤١) لابن حجر، وقال: "الإجماع انعقد بآخره بين أهل السُّنَّة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، رضي الله عنهم أجمعين"٠ فتح الباري (٧ /٤١). ونقل ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ الإجماع عن جماعة من أئمَّة الأمصار في الحجاز والعراق والشَّام، كأبي حنيفة ومالك والشَّافعيّ وأحمد وغيرهم على هذا. انظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٢٨٦ ـ ٢٨٨). أمَّا تقديم عليّ على الشَّيخين فمن أقوال أهل البدع، حتَّى قال سفيان الثّوريّ ـ مغلِّظًا على من قدّم عليًّا على أبي بكر: "من قدَّم عليًّا على أبي بكر ما أرى أن يصعد له إلى الله عمل"٠ منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٢٨٧)، وأثر سفيان عند أبي داود في السُّنن، كتاب السُّنَّة، باب في التَّفضيل، برقم (٤٦٣٠) (٥ /٢٦ ـ ٢٧)، وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: "فإنَّ المشهور عن بعض الكوفيين تقديم عليّ على عثمان، فأمَّا على الشَّيخين فلا يخفى فضل الشَّيخين على سائر الصَّحابة، إلاَّ على غبيّ..." البداية والنِّهاية (٨ /١٢).

(٧١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصَّحابة، قول النَّبيّ ﷺ: لو كنت متّخذًا خليلاً...، برقم (٣٦٧٧) (فتح ٧ /٢٦). ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم (٢٣٨٩) (نووي ١٥ /١٦٧ ـ ١٦٨).

(٧٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٨ /٢٩٥) لابن تَيْمِيَّة. والحديث أورده الإمام أحمد في المسند برقم (١٨٠١٧) (٤ /٢٧٨)، وفيه عبد الحميد بن بهرام الفزاري "صدوق"؛ التَّقريب (ص ٥٦٤)، وشَهْر بن حوشب "صدوق كثير الإرسال والأوهام"؛ التقريب (ص ٤٤١). فالحديث بهذا الإسناد ضعيف، وله شاهد عند الطبراني في "الأوسط" (٧٢٩٥)، قال الهيثمي في المجمع (٨ /٥٢): "وفيه حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك وهو متروك"، وجميع طرق الحديث واهية، لا تصلح أن تكون شاهدة له، فيبقى الحديث ضعيفًا.

(٧٣) المصدر نفسه (٨ /٤٢١).

(٧٤) زاد المعاد (٣ /٣٠٩ ـ ٣١٠). وانظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر... (ص ٧٢) كلاهما لابن القيّم.

(٧٥) أخرجه البخاري، كتاب التَّفسير، باب {إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}، برقم (٤٨٤٤) (فتح ٨ /٤٥١ ـ ٤٥٢)، ومسلم، كتاب الجهاد والسِّير، باب صلح الحديبية، برقم (١٧٨٥) (نووي ١٢ /٣٨٢ ـ ٣٨٣)، وكان هذا الكلام الَّذي ساقه سهل بن حنيف رضي الله عنه يخاطب به النَّاس يوم صفّين؛ حاثًّا لهم على الصُّلح وما فيه من المنافع؛ كما حدث لأهل الحديبية.

(٧٦) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٨ /٤١٠).

(٧٧) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٨ /٤١١) لابن تَيْمِيَّة، ومع هذا الَّذي جرى كان مآل الجميع التَّسليم والإذعان للنّصّ المعصوم، خلافًا لمن جاء بعد الصَّحابة ممَّن قدّموا الآراء على النّصوص، والأهواء على الشَّرع "وأصل الشرّ من تقديم الرأي على النَّصّ، والهوى على الشَّرع، فمن نوّر الله قلبه، فرأى ما في النَّصّ والشَّرع من الصَّلاح والخير، وإلاَّ فعليه الانقياد لنصّ رَسُولِ الله ﷺ وشرعه، وليس له معارضته برأيه وهواه"٠ المصدر نفسه (٨ /٤١١).

(٧٨) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسِّير، باب ما يُكره من التَّنازع والاختلاف في الحرب برقم (٣٠٣٩) (فتح ٦ /١٨٨).

(٧٩) انظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٣٩٠).

(٨٠) التَّحرير والتَّنوير (٤ /١٥٠) لابن عاشور.

(٨١) الجامع لأحكام القرآن (٤ /١٦١) للقرطبي، وانظر: التَّحرير والتَّنوير (٤ /١٤٨ ـ ١٤٩) لابن عاشور.
(٨٢) التَّحرير والتَّنوير (٤ /١٤٩) لابن عاشور.
(٨٣) انظر: المصدر نفسه (٤ /١٤٨).
(٨٤) انظر: درء تعارض العقل والنَّقل (٧ /١٧٠) لابن تَيْمِيَّة.
(٨٥) انظر: السِّيرة النَّبويَّة في ضوء المصادر الأصليّة (٢ /١٦٣) لمهدي رزق الله، والسِّيرة النَّبويَّة (٢ /٦٤٧ ـ ٦٤٨) للصّلاَّبي، والتَّحرير والتَّنوير (٤ /١٤٩) لابن عاشور.
(٨٦) كتاب المغازي، بابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ...}، برقم (٤٣١٩) (فتح ٧ /٦٢٧ ـ ٦٢٨).
(٨٧) زاد المعاد (٣ /٣٠٢).
(٨٨) حتَّى صار هذا نهج الملوك والأمراء فيما بعد "إذا خرجوا في مغازيهم أخذوا معهم من يعظم انتفاعهم به، ومعاونته لهم، ويحتاجون إلى مشاورته والانتفاع برأيه ولسانه ويده وسيفه". منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٣٢٩).
(٨٩) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسِّير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، برقم (١٧٦٣) (نووي ١٢ /٣٢٩ ـ ٣٣٠).
(٩٠) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٢٣٦ ـ ٢٣٧).
(٩١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٥٠٢ ـ ٥٠٣).
(٩٢) انظر: المصدر نفسه (٧ /٥٢٤ ـ ٥٢٥).
(٩٣) المصدر نفسه (٧ /٥٠٦).
(٩٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٥٠٧).
(٩٥) أي: استبطأ النَّبيُّ ﷺ نزوله. فتح الباري (٨ /٣٢٤) لابن حجر.
(٩٦) أخرجه البخاري، كتاب التَّفسير، باب: { لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا... } برقم (٤٧٥٠) (فتح ٨ /٣٠٧ ـ ٣٠٨)، ومسلم، كتاب التَّوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم (٢٧٧٠) (نووي ١٧ /١١٣ ـ ١١٤).

(٩٧) المعجم الكبير للطبرانيّ (٢٣ /١٢٥)، وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح (٨ /٣٣٨).
(٩٨) انظر: فتح الباري (٨ /٣٣٨ ـ ٣٣٩).
(٩٩) أحكام القرآن (٤ /١٦٦٨).
(١٠٠) انظر: جامع البيان (٦ /٣٩٥)، وزاد المسير (١ /٣٧١).
(١٠١) عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين (ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣)، وانظر: زاد المعاد (٣ /٥)، ومجموع الفتاوى (١٠ /٥٧).
(١٠٢) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير (١٧ /٢٨٦)، وأورده الهيثميّ في المجمع (٣ /١١٠)، وقال: "رواه الطبرانيّ في الكبير، وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام". وصحّحه الألبانيّ في السِّلسلة الصَّحيحة برقم (٣٤٨٤).
(١٠٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤ /١٨٢) برقم (١٧٣٤١) (٢٨ /٥٦٨) ط التركي، والحاكم في المستدرك (١ /٥٧٦) برقم (١٥١٧) وصحّحه، ووافقه الذَّهبيّ.

(١٠٤) بفتح الواو وضمّ اللام وتشديد الواو؛ هو المهر؛ لأنَّهُ يفلى، أي: يعظم، وقيل: هو كلّ فطيم من ذات حافر. فتح الباري (٣ /٣٢٨) لابن حجر.

(١٠٥) أخرجه البخاري، كتاب الزّكاة، باب الصّدقة من كسب طيّب، برقم (١٤١٠) (فتح ٣ /٣٢٦)، ومسلم، كتاب الزّكاة، باب قبول الصّدقة من الكسب الطيّب وتربيتها، (برقم ١٠١٤) (نووي ٧ /١٠٢ ـ ١٠٣).

(١٠٦) هذا التأويل الفاسد من الحافظ ـ رحمه الله ـ هروبًا من إثبات صفة اليد لله تعالى، يردّه ما جاء في رواية مسلم: "فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ"؛ وكذا صنع النّووي ـ رحمه الله ـ فتأوّل صفة اليد في الحديث، وهو باطل.

(١٠٧) فتح الباري (٣ /٣٢٨).

(١٠٨) عدة الصّابرين وذخيرة الشّاكرين (ص ٤٩٠ ـ ٤٩١) لابن القيّم.

(١٠٩) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤ /٤٧٧) لابن كثير، والجامع لأحكام القرآن (١٧ /١٥٦) للقرطبيّ.

(١١٠) التّحرير والتّنوير (٢٧ /٣٧٤ ـ ٣٧٥) لابن عاشور، وانظر: إعلام الموقّعين (١ /٨٣)، ومجموع الفتاوى (١١ /٥٦)، ومنهاج السُّنَّة (٧ /٢٣، ١٥٥).

(١١١) انظر: منهاج السُّنَّة (٧ /١٥٥) لابن تَيْمِيَّة، وشفاء العليل (ص ٧٢) لابن القيِّم، وتيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنّان (٨ /٧٨ ـ ٧٩) للسّعديّ.

(١١٢) الخوخة: باب صغير كالنّافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين يُنصب عليها باب.

النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٢ /٨٦) لابن الأثير، وشرح صحيح مسلم (١٥ /١٦٣).

(١١٣) مسلم، كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل أبي بكر الصدّيق ﷺ، برقم (٢٣٨٢) (نووي ١٥ /١٥٨ ـ ١٥٩).

(١١٤) شرح صحيح مسلم (١٥ /١٦٠)، وانظر وقارن: تحفة الأحوذي (١٠ /١٠٠) للمباركفوري.

(١١٥) السُّنن، كتاب الزّكاة، باب في الرّخصة في ذلك، (برقم ١٦٧٨) (٢ /٣١٢ ـ ٣١٣)، والترمذيّ، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما كليهما ـ، (برقم ٣٦٧٥) (٥ /٥٧٤)، وحسّنه الألبانيّ في صحيح سنن أبي داود (برقم ١٤٧٢) (١ /٣١٥).

(١١٦) انظر: جامع البيان (٢٤ /٤٧٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠ /٣٤٤١).

(١١٧) المسند (٢ /٣٤٠) (برقم ٧٤٦٤)، وفضائل الصّحابة (برقم ٣٢) (١ /٨٢) بإسناد صحيح.

(١١٨) انظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٨ /٤٩٦ ـ ٤٩٧).

(١١٩) انظر: المصدر نفسه (٨ /٤٩٩).

(١٢٠) انظر: المصدر نفسه (٨ /٥٠٠).

(١٢١) انظر: المصدر نفسه (٨ /٥٠٢).

(١٢٢) انظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٨ /٤٩٥ ـ ٤٩٦، ٥٤٢)، والكامل في التّاريخ (٢ /٢٦٤)، والبداية والنهاية (٤ /١٤٥).

(١٢٣) المصدر نفسه (٨ /٤٩٦). وانظر: عصر الخلافة الرّاشدة (ص ٦٣) أكرم ضياء العمري.

(١٢٤) فضائل الصّحابة (١ /١٦٣ ـ ١٦٤) للإمام أحمد، وانظر: معرفة الصّحابة (١ /٢٥) لأبي نعيم، والاستيعاب (٣ /٩٦٤) لابن عبد البرّ، وسير السّلف الصّالحين (ص ١٤) للأصبهاني.

(١٢٥) انظر: أصول الدَّعوة وطرقها (ص ١٨٥).

(١٢٦) انظر خبر السّقيفة مطوّلاً في منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٥ /٤٧٠ ـ ٤٧٧) لابن تَيْمِيَّة، وعصر الخلافة الرَّاشدة (ص ٤٧)، والانشراح ورفع الضيق (ص ١١٧).

(١٢٧) المسند (٥ /٢٢١) (برقم ٢١٦٧٢) للإمام أحمد، وانظر: البداية والنِّهاية (٥ /٢٢٦) لابن كثير، وعصر الخلافة الرَّاشدة (ص ٤٣) د. أكرم ضياء العمري.

(١٢٨) منهاج السُّنَّة (٧ /٤٦٦ ـ ٤٦٧). قال أبو قحافة لما قيل له: إنَّ ابنك تولّى، قال: "أَوَ رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو مخزوم ؟" قالوا: نعم. فعجب من ذلك؛ لعلمه بأنّ بني تيم كانوا من أضعف القبائل، وأنّ أشراف قريش كانت من تينك القبيلتين. منهاج السُّنَّة (٧ /٤٥٧ ـ ٤٥٨) لابن تَيْمِيَّة.

(١٢٩) انظر: المصدر نفسه (٧ /٤٦٩ ـ ٤٧٠). ومن آثار هذه النِّعمة الكبرى في اجتماع الكلمة ووحدة المسلمين: أنَّ الصدّيق عَيَّن عمرَ قاضيًا على المدينة، فمكث سنة كاملة لم يترافع عنده أحده.

وقبل هذا لم تبلغ عدد الحكومات الَّتي قضى فيها رَسُولُ الله ﷺ عشر حكومات.

انظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٥١٤) لابن تَيْمِيَّة، والبداية والنِّهاية (٦ /٣١٢).

(١٣٠) أمَّا أهل المدينة فثبّتهم الله وقوّاهم بأبي بكر الصدِّيق ﷺ، وأهل مكّة ثبّتهم الله بسهيل بن عمرو، وأهل الطائف ثبّتهم الله ـ سبحانه ـ بعثمان بن أبي العاص. انظر: منهاج السُّنَّة (٧ /٤٧٨).

(١٣١) ينظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١ /٥٣٠) و (٤ /١٩٥) و (٨ /٣٢٤، ٥٣٨) لابن تَيْمِيَّة.

(١٣٢) كتاب استتابة المرتدّين وقتالهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض، (برقم ٦٩٢٤) (فتح ١٢ /٢٨٨).

(١٣٣) هي الأنثى من أولاد المعز. النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٣ /٣١١) لابن الأثير.

(١٣٤) البخاري، كتاب استتابة المرتدّين، باب قتل من أبى قبول الفرائض، (برقم ٦٩٢٥) (فتح ١٢ /٢٨٨).

قال ابن تَيْمِيَّة: "... وأقرّ أولئك بالزَّكاة بعد امتناعهم منها، ولم تُسب لهم ذريّة، ولا حُبس منهم أحد، ولا كان بالمدينة حبس لا عهد رَسُولِ الله ﷺ، ولا على عهد أبي بكر". منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦ /٣٤٨ ـ ٣٤٩).

(١٣٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٥٠٠ ـ ٥٠٢، ٥٠٧، ٥٠٩) لابن تَيْمِيَّة، وشارك عمر، فكان يفتي هو والصدّيق على عهد النَّبيِّ ﷺ وهو يعلم. المنهاج (٧ /٥٢٢).

(١٣٦) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٨ /٣٦٢ ـ ٣٦٣).

(١٣٧) كالعسب واللخاف.

(١٣٨) الردّ على الزَّنادقة والجهميَّة (ص ٥٢) للإمام أحمد، ضمن "عقائد السَّلف".

(١٣٩) السِّيرة النَّبويَّة (٤ /٦٦١) لابن هشام، وانظر وقارن: عصر الخلافة الرَّاشدة (ص ٤٦) د. أكرم العمري. ونصّ الخطبة ورد في جامع معمر بن راشد (١١ /٣٣٦)، والسُّنن الكبرى (٦ /٥٧٤) للبيهقيّ.

(١٤٠) انظر: البداية والنِّهاية (٧ /١٤) لابن كثير، وتاريخ الطبري (٣ /٤٤١).

(١٤١) البداية والنِّهاية (٧ /١٥ ـ ١٦).

(١٤٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٤٥١) و (٦ /١١٥). مات عمر ﷺ وعليه ثمانون ألف درهم دينًا؛ مِمَّا يدلُّ على زهده وورعه، وزهد وورع الصدّيق أعظم. انظر: المصدر نفسه (٧ /٤٩٢)، وأوصى ﷺ أن لا يُسَدَّ دينه من بيت مال المسلمين، وإنما يقوم به أقاربه، ثمَّ بنو عديّ، ثمَّ سائر قريش. انظر: المصدر نفسه (٦ /١٦٥).

(١٤٣) الأموال السُّلطانيّة الَّتي كان النَّبيُّ ﷺ وخلفاؤه يقومون بقسمها أصناف: أموال الغنائم، والفيء، والصَّدقة، والخراج. انظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦ /١٠٦)، والاستقامة (٢ /٣٠١)، ومجموع الفتاوى (٢٨ /٢٦٩، ٢٧٦) لابن تَيْمِيَّة، وعصر الخلافة الرَّاشدة (ص ١٦٣ ـ ١٩٩) د. أكرم العمري.

(١٤٤) عقد الصنعانيّ في المصنَّف بابًا فقال: "باب الدِّيوان" (١١ /٩٩).

(١٤٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦ /٣٧). ما أعظم السِّياسة العمريّة في هذا الدِّيوان ! وأثر ذلك بعد عصر الرَّاشدين، فهذا معاوية ﷺ أوَّل ملوك المسلمين يطوّر الدِّيوان "كان معاوية جعل في كلّ قبيل رجلاً، وكان رجل منّا يكنى أبا يحيى، يصبح كلّ يوم يدور على المجالس: هل ولد فيكم اللَّيلة ولد ؟ هل حديث اللَّيلة حدث ؟ هل نزل اليوم بكم نازل ؟ قال: فيقولون: نعم، نزل رجل من أهل اليمن بعياله، يسمّونه وعياله، فإذا فرغ من القبيل كلّه أتى الدِّيوان، فأوقع أسماءهم في الدِّيوان". منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦ /٢٣٤). وانظر: المصدر نفسه (٦ /١٠٥)، ومجموع الفتاوى (٢٨ /٢٧٧)، وجامع المسائل (٥ /٣٩٠).

(١٤٦) انظر: منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦ /٣٧ ـ ٣٨)، والعواصم والقواصم (٨ /٤٢).

(١٤٧) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦ /٣٨). وانظر: مقادير ما كان يفرض للنَّاس من أهل البيت، وزوجات الرَّسولِ ﷺ والقبائل بناءًا على الأنساب الدِّينيَّة لا الطينيَّة، والجند، والأمراء، وعمّال الأمصار، والقضاة، وغيرهم. عصر الخلافة الرَّاشدة (ص ٢٠٨ ـ ٢١٧) د. أكرم العمري.

(١٤٨) المصنَّف (٦ /٤٥٨) لابن أبي شيبة، وعصر الخلافة الرَّاشدة (ص ٢١٦) د. أكرم العمري.

يقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "العلم بسياسة النَّاس بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، واختصّ عمر بذلك؛ لطول مدّته بالنّسبة إلى أبي بكر ﷺ، وباتّفاق النَّاس على طاعته بالنّسبة إلى عثمان ﷺ" فتح الباري (٧ /٥٦).

(١٤٩) الزُّهد (ص ٢٦٥) لابن المبارك، واللّفظ له، والمسند (١ /٢١) (برقم ٩٤) للإمام أحمد، والمصنّف (١١ /١٠٠) للصّنعاني، وزاد: "قال: أنكيل لهم بالصَّاع أم نحثوا ؟ فقال عليّ: بل احثوا عليهم، ثمَّ دعا حسن بن عليّ أوَّل النَّاس فحثا له، ثمَّ دعا حُسينًا، ثمَّ أعطى النَّاس"، وهذا فيه ردّ عمليّ من سيرة عمر على الرّافضة في زعمهم وطعنهم على عمر، فها هو لم يقدّم على سيّدا شباب أهل الجنَّة أحدًا !؟. المصنَّف (١١ /١٠٠) للصنعاني.

(١٥٠) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦ /١٧٠). وانظر: فتح الباري (٧ /٥٦) لابن حجر. وقد قرّر شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة أَنَّهُ لم تحدث بدعة ظاهرة في خلافة عثمان ﷺ، فلمَّا قُتل حدثت بعد عثمان بدعتان متقابلتان: الخوارج والرّافضة، وفي أواخر عصر الصَّحابة في إمارة ابن الزُّبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدريّة. انظر: منهاج السُّنَّة (٦ /٢٣١).

(١٥١) الجواب الصَّحيح لمن بدّل دين المسيح (١ /٧٨) لابن تَيْمِيَّة.

(١٥٢) انظر: المصدر نفسه (١ /٨٥ ـ ٩٣).

(١٥٣) "قاعدة في الجماعة والفرقة" ضمن مجموع الفتاوى (١ /١٧).

(١٥٤) مدارج السَّالكين (١ /٣٤٨ . ٣٤٩).

(١٥٥) الذكواني، أبو عمرو، شهد الخندق والمشاهد كلّها. وحضر فتح دمشق، واستشهد بأرمينية سنة تسع عشرة للهجرة. انظر: الاستيعاب (٢ /٢٨٠ . ٢٨١) لابن عبد البرّ.

(١٥٦) تفسير القرآن العظيم (١ /٧٩) لابن كثير.

(١٥٧) يومٌ اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظَّفر فيه للأوس على الخزرج. انظر: السِّيرة النَّبويَّة (١ /٥٥٥ . ٥٥٦) لابن هشام.

(١٥٨) انظر: السِّيرة النَّبويَّة (١ /٥٥٥ . ٥٥٧) لابن هشام.

(١٥٩) بلغ مجمل الطوائف الَّتي ارتدّت عن الإسلام من العرب؛ سبع قبائل كبرى، وهم: أسد، وغطفان، وكندة، ومذحج، وربيعة، وبني حنيفة، وسُليم، وبنو تميم. انظر: البداية والنِّهاية (٦ /٢٣٣ . ٢٣٤) لابن كثير.

(١٦٠) البداية والنِّهاية (٦ /٢٢٨) لابن كثير، وانظر: تاريخ الإسلام (٣ /٢٨) للذهبي، وتاريخ الخلفاء (ص ٥٩) للسيوطي.

(١٦١) تاريخ دمشق (٢ /٦٠) لابن عساكر، وانظر: سمط النّجوم العوالي (٢ /٣٣٨)، والطَّبقات الكبرى (٢ /١٤٢) لابن سعد، والبداية والنهاية (٦ /٣٣٦).

(١٦٢) انظر: جمهرة أشعار العرب (ص ٢٧٧) لأبي زيد القرشي، وخزانة الأدب (٣ /١٣٩) للحموي. والأبيات للرّاعي النُّميريّ. انظر: ديوانه (ص ١٦٧).

(١٦٣) انظر: عصر الخلافة الرَّاشدة (ص ٣٦٠) د. أكرم العمري.

(١٦٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٦ /٧٦) لابن تَيْمِيَّة، "وما ساس العالم أحدٌ مثل عمر، فكيف الظنّ بغيره ؟" المصدر نفسه (٦ /٤٠١).

(١٦٥) المصدر نفسه (٧ /٤٧٤).

(١٦٦) عَبيدة بن عمرو السلماني المرادي، أبو عمرو الكوفي، تابعيّ كبير، مات سنة اثنتين وسبعين أو بعدها، والصَّحيح قبل سنة سبعين. التقريب (ص ٦٥٤) لابن حجر.

(١٦٧) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧ /٥٢٨) لابن تَيْمِيَّة. وكان جماعة من أهل الكوفة يقدّمون علم عمر على علم عليّ. انظر: المصدر نفسه (٧ /٥٢٦).

مراجع البحث

- القرآن الكريم.

١ ـ أحكام القرآن. لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن عربي. تحقيق / علي محمَّد البجاوي. دار الجيل ـ بيروت ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٢ ـ الاستقامة. لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَّة. تحقيق / د. محمَّد رشاد سالم. مكتبة ابن تَيْمِيَّة ـ ط ٢. ١٤٠٩ هـ. وط الأولى ١٤٠٣ هـ.

٣ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب. لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي. تحقيق / الشيخ علي محمد معوض. والشيخ / عادل عبد الموجود؛ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١. ١٤١٥هـ ١٩٩٥م. وط دار الجيل. الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

٤ ـ أصحّ الكلام في سيرة خير الأنام. د. علي محمَّد الصَّلاَّبي. دار الإيمان ـ دار القمّة. بدون معلومات أخرى

٥ ـ أصول الدّعوة وطرقها. منهج جامعة المدينة العالميّة. النّاشر: جامعة المدينة العالميّة ـ المكتبة الرقميّة الشّاملة.

٦ ـ أصول السُّنَّة. لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشّيباني. دار المنار ـ الخرج ـ ط ١. ١٤١١ هـ.

٧ ـ إعلام الموقّعين عن ربِّ العالمين. للإمام ابن قيّم الجوزيّة. تحقيق / محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ـ المكتبة العصريّة ـ بيروت. ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م. وطبعة دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ـ الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

٨ ـ الانشراح ورفع الضيق في سير أبي بكر الصدّيق؛ شخصيّته وعصره. علي الصلابي. دار التَّوزيع والنّشر الإسلاميَّة ـ القاهرة ـ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٩ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير الدّمشقيّ. تأليف أحمد محمَّد شاكر. دار الكتب العلميَّة ـ بيروت. ط ١. ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

١٠ ـ البداية والنهاية. لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي. اعتنى به / الشيخ علي معوض. والشيخ / عادل عبد الموجود؛ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١. ١٤١٥هـ ١٩٩٤م. و ط دار الفكر ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.

١١ ـ البداية والنهاية. للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء. مكتبة المعارف ـ بيروت. بدون معلومات أخرى. و ط دار هجر. الأولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

١٢ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. محمَّد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذَّهَبِيّ. تحقيق: عمر التدمرى؛ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط الثَّانية ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م.

١٣ ـ تأريخ الخلفاء. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدِّين السيوطي. تحقيق: حمدي الدمرداش ـ مكتبة نزار الباز ـ ط الأولى ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

١٤ ـ تاريخ دمشق. أبي القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله. تحقيق / محبّ الدِّين العمري؛ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٩٥م.

١٥ ـ تاريخ الرُّسل والملوك. محمَّد بن جرير الطبري أبو جعفر. دار التراث ـ بيروت. ط الثَّانية ١٣٨٧ هـ.

١٦ ـ التحرير والتنوير. للإمام محمد الطاهر ابن عاشور. الدار التونسية. والدار الجماهيرية ـ بدون معلومات أخرى.

١٧ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. للإمام الحافظ محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفوري. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١. ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١٨ ـ التحفة العراقيّة في الأعمال القلبيّة. لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَّة. تحقيق / د. يحيى الهنيدي. مكتبة الرّشد ـ الرِّياض ـ ط ١. ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

١٩ ـ تفسير القرآن العظيم. عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي حاتم الحنظلي الرّازي. تحقيق: أسعد الطيّب ـ مكتبة نزار الباز ـ السّعوديّة ـ ط الثَّالثة ١٤١٩ هـ.

٢٠ ـ تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدّمشقيّ. اعتنى به / حسين زهران ـ دار الفكر ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٢١ ـ تقريب التَّهذيب. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق / أبي الأشبال صغير أحمد شاغف ـ دار العاصمة ـ ط ١. ١٤١٦ هـ.

٢٢ ـ التَّقييد والإيضاح شرح مقدّمة ابن الصَّلاح. للحافظ عبد الرَّحيم بن الحسين العراقي. تحقيق / عبد الرَّحمن محمَّد عثمان. مكتبة ابن تَيْمِيَّة ـ القاهرة. المكتبة السَّلفيّة ـ المدينة المنوّرة. ط ٢. ١٤٩٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٢٣ ـ تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنّان. للعلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعديِّ. مؤسّسة مكّة للطِّباعة والإعلام. ١٣٩٨ هـ.

٢٤ ـ الجامع. معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي أبو عروة البصري. تحقيق: حبيب الرَّحمن الأعظمي ـ المجلس العلمي بباكستان. وتوزيع المكتب الإسلامي. ط الثّانية ١٤٠٣ هـ.

٢٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن. محمَّد بن حرير الطبري أبو جعفر. تحقيق: عبد الله التركي ـ دار هجر للطّباعة والنّشر ـ ط الأولى ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.

٢٦ ـ جامع الرسائل. لشيخ الإسلام أحمد ابن تَيْمِيَّة. تحقيق / د. محمد رشاد سالم؛ دار العطاء. الرياض. ط ١. ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٧ ـ الجامع الصَّحيح. لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق / أحمد محمد شاكر؛ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بدون معلومات أخرى.

٢٨ ـ جامع العلوم والحكم. لزين الدِّين أبي الفَرَج عبد الرَّحمن بن شهاب الدِّين البغدادي الشَّهير بابن رجب. تحقيق / شعيب الأرناؤوط. وإبراهيم باجس. مؤسّسة الرِّسالة ـ بيروت ـ ط ٧. ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٢٩ ـ الجامع لأحكام القرآن. للإمام محمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م.

٣٠ ـ جامع المسائل. أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرَّاني الدّمشقي. تحقيق: محمَّد شمس ـ دار عالم الفوائد ـ مكّة المكرّمة ـ ط الأولى ١٤٢٢ هـ.

٣١ ـ جمهرة أشعار العرب. أبو زيد القرشي. تحقيق / عمر الطبّاع. دار الأرقم ـ بيروت ـ بدون معلومات أخرى.

٣٢ ـ الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح. لشيخ الإسلام أحمد ابن تَيْمِيَّة. تحقيق / د. عبد العزيز العسكر. و د. حمدان الحمدان. و د. علي بن ناصر. دار العاصمة ـ الرياض ـ بدون معلومات أخرى . وط الثّانية ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م.

٣٣ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. أبو بكر أيوب محمَّد بن أيّوب ابن قيم الجوزيّة. مكتبة المدني ـ القاهرة ـ بدون معلومات أخرى.

٣٤ ـ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. للحافظ قوام السُّنَّة إسماعيل بن محمَّد التَّميمي الأصبهاني. تحقيق / محمد بن ربيع المدخلي؛ دار الراية ـ الرياض ـ ط ١٤١١,١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٥ ـ درء تعارض العقل والنّقل. لأبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَّة. تحقيق / د. محمَّد رشاد سالم. مطابع جامعة الإمام ـ ط ١. ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

٣٦ ـ ديوان الرَّاعي النّميريّ. بدون معلومات.

٣٧ ـ ذمّ التأويل. عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي. تحقيق / بدر عبد الله البدر ـ الدّار السّلفيّة ـ الكويت ـ ط ١. ١٤٠٦ هـ.

٣٨ ـ الرد على الزنادقة والجهمية. للإمام أحمد بن حنبل. ضمن عقائد السلف؛ جمع / علي سامي النشار. عمَّار جمعي الطالبي. منشأة المعارف ـ الإسكندرية ـ ١٩٧١م.

٣٩ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين. للإمام ابن قيّم الجوزيّة. تحقيق ودراسة / د. السيد الجميلي؛ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط ٢. ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤٠ ـ زاد المسير في علم التفسير. أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجزري. تحقيق: عبد الرزَّاق المهدي ـ دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤٢٢ هـ.

٤١ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد. لابن قيّم الجوزيّة. تحقيق / شعيب الأرنؤوط. وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرِّسالة. ومكتبة المنار الإسلاميَّة. ط ١٤. ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م. و ط السَّابعة والعشرون ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م.

٤٢ ـ سلسلة الأحاديث الصَّحيحة. للعلاّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني. مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط الرَّابعة ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

٤٣ ـ سمط النجوم العوالي. عبد الملك بن حسين الشافعي المكي. تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود. وعلى معوض؛ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٤٤ ـ سنن أبي داود. للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. اعتنى به / عزت عُبيد الدّعّاس. وعادل السيّد؛ دار الحديث ـ بيروت ـ ط ١. ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

٤٥ ـ السُّنن الكبرى. أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقيّ. تحقيق: محمَّد عطا. دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ـ ط الثَّالثة ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

٤٦ ـ سير أعلام النبلاء. للإمام محمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهَبِيّ. تحقيق / شعيب الأرناؤوط. ومحمَّد نعيم العرقسوسي؛ مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ـ ط ٩. ١٤١٣هـ ١٩٩٣م. و ط دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

٤٧ ـ سير السَّلف الصَّالحين. إسماعيل بن محمَّد القرشي الأصبهاني أبو القاسم الملقب بقوام السُّنَّة. تحقيق: د. كرم حلمي. دار الرَّاية ـ الرِّياض ـ بدون معلومات أخرى.

٤٨ ـ السيرة النبوية. لابن هشام. تحقيق / مصطفى السقَّا. إبراهيم الأبياري. عبد الحفيظ شلبي. بدون معلومات أخرى.

٤٩ ـ السيرة النَّبويَّة في ضوء المصادر الأصليَّة. د. مهدي رزق الله أحمد. دار إمام الدعوة ـ الرياض ـ ط ٢. ١٤٢٤ هـ.

٥٠ ـ شرح صحيح مسلم. للإمام محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي. راجعه: الشَّيخ / خليل الميس. دار القلم ـ بيروت ـ ط ١. ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٥١ ـ شرح العقيدة الطحاوية. لعليّ بن عليّ بن أبي العز الحنفي الأذرعي. تحقيق / جماعة من العلماء. خرّج أحاديثها: محمد ناصر الدِّين الألباني؛ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط ٨. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٥٢ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. للإمام ابن قيِّم الجوزيَّة. دار التراث ـ القاهرة. بدون معلومات أخرى.

٥٣ ـ صحيح سنن أبي داود. للعلاّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني. بعناية: زهير الشَّاويش. مكتب التربية العربي لدول الخليج. توزيع المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط ١. ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.

٥٤ ـ الصَّحيح المسند من فضائل الصَّحابة. تأليف أبي عبد الله مصطفى بن العدوي. مكتبة الكوثر ـ الرِّياض ـ دار الهجرة ـ صنعاء. ط ١. ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

٥٥ ـ الصواعق المرسلة على الجهميّة والمعطّلة. للإمام ابن قيّم الجوزيّة. تحقيق / د. علي بن محمَّد الدّخيل الله. دار العاصمة ـ ط ١. ١٤٠٨ هـ.

٥٦ ـ طبقات الحنابلة. للقاضي محمد بن أبي يعلى. دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ـ بدون معلومات أخرى.

٥٧ ـ الطبقات الكبرى. محمّد بن سعد بن منيع البصري الزهري. دار صادر ـ بيروت ـ بدون معلومات أخرى.

٥٨ ـ طريق الهجرتين وباب السّعادتين. محمَّد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزيّة. الدار السّلفيّة ـ القاهرة ـ ط الثَّانية ـ ١٣٩٤هـ.

٥٩ ـ عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين. للإمام ابن قيّم الجوزيّة. تحقيق / إسماعيل غازي مرحبا ـ دار عالم الفوائد ـ مكّة المكرّمة ـ ط الأولى ـ ١٤٢٩ هـ.

٦٠ ـ عصر الخلافة الرَّاشدة. د. أكرم ضياء العمري. مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنوّرة ـ ط ١. ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م. وط مكتبة العبيكان. الأولى ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م.

٦١ ـ عقيدة السَّلف أصحاب الحديث. لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الرَّحمن الصَّابوني. تحقيق / بدر البدر. الدَّار السَّلفيّة ـ ط ١. ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

٦٢ ـ العقيدة الواسطية. ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تَيْمِيَّة. جمع / عبد الرَّحمن بن قاسم النجدي ـ دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ـ ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.

٦٣ ـ العواصم والقواصم. محمَّد بن إبراهيم بن المرتضى الحسني القاسمي المعروف بابن الوزير. تحقيق: شعيب الأرنؤووط. مؤسسة الرِّسالة ـ بيروت ـ ط الثَّالثة ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م.

٦٤ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تصحيح / محبّ الدِّين الخطيب. ومحمَّد فؤاد عبد الباقي؛ دار الريان للتراث. القاهرة. ط ٢. ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م. و ط دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٧٩هـ.

٦٥ ـ فضائل الصَّحابة. لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشَّيباني. تحقيق / وصيّ الله محمَّد عبّاس. دار ابن الجوزي ـ الدمّام ـ ط ٢. ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.

٦٦ ـ قاعدة جليلة في الجماعة والفرقة (ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة. جمع: عبد الرَّحمن بن قاسم النجدي. دار عالم الكتب ـ الرِّياض. ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.

٦٧ ـ الكامل في التأريخ. علي بن محمَّد الحسن الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير. تحقيق: عمر عبد السَّلام تدمري. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٦٨ ـ كتاب الزّهد. للإمام شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك المروزي. تحقيق / حبيب الرّحمن الأعظمي. دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ـ بدون معلومات أخرى

٦٩ ـ كتاب الشَّريعة. للإمام أبي بكر محمَّد بن الحسين الآجُرّي. تحقيق / د. عبد الله بن عمر الدميجي؛ دار الوطن. الرِّياض. ط ١. ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٧٠ ـ الكتاب المصنَّف في الأحاديث والآثار. للإمام أبي بكر عبد الله بن أبي شيبة الكوفي. دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ـ ط ١. ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥.

٧١ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٧٢ ـ مجموع رسائل العقيدة. الشَّيخ عبد الرَّحمن بن يحيى المعلّمي اليماني. تحقيق / عدنان البخاري. ضمن مشروع الشَّيخ بكر أبو زيد رحمه الله ـ دار عالم الفوائد ـ ط ١. ١٤٣٤ هـ.

٧٣ ـ مجموع فتاوى. شيخ الإسلام أحمد بن تَيْمِيَّة. جمع وترتيب / عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم النَّجدي؛ دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ١٤١٢هـ ١٩٩١م. و ط مجمع الملك فهد بالمدينة المنوّرة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.

٧٤ ـ مختصر الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة. لبدر الدِّين البعلي. أشرف على طباعته ونشره: الشَّيخ / عبد المجيد سليم؛ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بدون معلومات أخرى.

٧٥ ـ مدارج السَّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين. للإمام ابن قيّم الجوزيّة. تحقيق / محمَّد حامد الفقي ـ مكتبة السُّنَّة المحمّديّة. مكتبة ابن تَيْمِيَّة ـ القاهرة ـ بدون معلومات أخرى.

٧٦ ـ المدخل المفصّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل. وتخريجات الأصحاب. تأليف: بكر بن عبد الله أبو زيد. تقديم د. محمَّد الحبيب ابن الخوجة. دار العاصمة ـ الرِّياض. ط ١. ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٧٧ ـ المسائل والرّسائل المرويّة عن الإمام أحمد في العقيدة. جمع ودراسة / عبد الإله بن سلمان الأحمدي. دار طيبة ـ الرِّياض ـ ط ١. ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.

٧٨ ـ المستدرك على الصَّحيحين. محمَّد بن عبد الله بن محمَّد الضبّي الحاكم النيسابوري. تحقيق: مصطفى عطا. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٧٩ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. رقّم أحاديثه / محمد عبد السَّلام عبد الشافي؛ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١. ١٤١٣هـ ١٩٩٣م. وط أحمد شاكر. دار الحديث ـ القاهرة ـ الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٥ م. وكذا ط مؤسّسة الرِّسالة. تحقيق: شعيب الأرنؤووط ـ ط الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.

٨٠ ـ المصنَّف. للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزَّاق بن همام الصّنعانيّ. تحقيق / حبيب الرَّحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي ـ ط ٢. ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٨١ ـ معجم أصحاب القاضي أبي علي الصّدفي. محمَّد بن عبد الله القضاعي البلنسي ابن الأنبار. مكتبة الثّقافة ـ مصر ـ ط الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م.

٨٢ ـ المعجم الكبير. سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي الشامي الطبراني. تحقيق / حمدي السلفي. مكتبة ابن تَيْمِيَّة ـ القاهرة ـ الموصل ـ ط الثَّانية ـ بدون معلومات أخرى.

٨٣ ـ معرفة الصَّحابة. أحمد بن عبد الله بن إسحاق أبو نعيم الأصبهاني. تحقيق: عادل العزازي ـ دار الوطن ـ الرِّياض ـ ط الأولى ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.

٨٤ ـ المقنع في علوم الحديث. ابن الملقّن سراج الدِّين عمر بن علي الشَّافعيّ المصري. تحقيق: عبد الله الجديع ـ دار فوّاز ـ السّعوديّة ـ ط الأولى ١٤١٣ هـ.

٨٥ ـ مناقب أبي حنيفة. للإمام موفّق أحمد المكيّ. دار الكتاب العربي. وطبعة مجلس دائرة المعارف النظاميّة بحيدر أباد ـ الهند. بدون معلومات أخرى.

٨٦ ـ منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشّيعة والقدريّة. لشيخ الإسلام أبي العبَّاس أحمد بن تَيْمِيَّة. تحقيق / د. محمّد رشاد سالم. مطابع جامعة الإمام ـ الرِّياض ـ ط ١. ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

النّهاية في غريب الحديث والأثر. للإمام مجد الدِّين المبارك بن محمَّد الجزري المعروف بابن الأثير. دار الفكر ـــ بيروت ـ بدون معلومات أخرى.